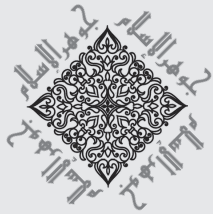

جوهر الإسلام

العدد 2/1 ـ السنة 23
رمضان 1445 هـ / مارس 2024 م

الثمن 5 د.ت ـ 5 أورو

جوهر الإسلام

مؤسس المجلة فضيلة **الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله**

المدير ورئيس التحرير
الأستاذ محمد صلاح الدين المستاوي

العنوان	28 نهج جمال عبد الناصر ـ تونس 1000
الهاتف الفاكس	216.71.327.130 216.71.423.233
البريد الالكتروني الموقع الالكتروني	mestaoui.s@gnet.tn www.jawhar-al-islam.info
الحساب الجاري بالبنك العربي لتونس (الجزيرة)	01000021111000023810 6
ISSN	0330-4957

الثمن للأفراد	الاشتراك بتونس	الاشتراك للمؤسسات
بتونس 5 د.ت	للأفراد : 30 د.ت	بتونس 50 د.ت
بالخارج 5 أورو	بالخارج 40 أورو	بالخارج 50 أورو

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

صدق الله العظيم

جوهر الإسلام

مؤسس المجلة فضيلة
الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله

المدير ورئيس التحرير
الأستاذ محمد صلاح الدين المستاوي

1445 هـ/ 2024 م

المحتوى

الافتتاحية : مواكبة لشهر رمضان وبيان لما تستوجبه مستجدات الحياة من تفاعل واجتهاد 6

رئيس التحرير

تفسير آيات من القرآن الكريم 8

بقلم الشيخ المحبيب المستاوي رحمه الله

الاجتهاد ماضيه وحاضره (القسم الأوّل) ملف الاجتهاد 11

ب قلم فضيلة الشيخ الفاضل بن عاشور رحمه الله

الاستيعاب الشرعي للمستجدّات العلميّة.....18

بقلم العلامة الشيخ عبد الله بن بيّة

من أدوات النظر الاجتهادي المنشود الاداة الرابعة: علم المقاصد 25

بقلم الدكتور مصطفى قطب سانو

حق الكد والسعاية... مقاربات تأصيلية لحقوق المرأة المسلمة 34

بقلم الدكتور محمد البشاري

الاربعون النووية الحديث الثامن والعشرون التقوى والطاعة وإتباع السنة 37

بقلم الأستاذ محمد صلاح الدين المستاوي

في رياض السنّة..... 37

عبادة الدعاء وارتباطها بليلة القدر ملف رمضان 42

بقلم فضيلة الشيخ الدكتور أحمد الطيب شيخ الازهر

الصوم فرض بالكتاب والسنّة والإجماع 46

بقلم: الشيخ صالح العَوْد

رمضان شهر السلام..... 53

بقلم المفكر الهندي وحيد الدين خان رحمه الله

زاد الصائم إلى مذهب الإمام مالك 56
جمع أ. جمعه عكرمي الدرويش
رمضان يطلّ علينا اليوم وسيغادرنا شاهدا لنا او علينا 66
بقلم الاستاذ ابراهيم الربو
خطبة الجمعة : من أسباب قبول آداء المسلم لفريضة الصيام 69
﴿يسالونك قل﴾ من يرد اللهّ به خيرا يفقهه في الدين 73
بقلم الشيخ محمد المحبيب النفطي رحمه الله
رسالة من رسائل في التصوف..... 75
الأستاذ عبد الهادي شنركامب
وفاء الباحث الشهير أحمد تَيْمور باشا..... 84
نحو الإمام الأكبر محمد الأخضر حسين التونسي شيخ الجامع الأزهر..... 84
بقلم الاستاذ: صالح العَوْد
وثيقة زيتونية :حوار مع فضيلة الشيخ أحمد الشريف رحمه اللهّ الامام الأول
لجامع الزيتونة المعمور..... 86
كل المجالات يحترم فيها الاختصاص إلا الدين 93
بقلم الشيخ المحبيب المستاوي رحمه الله
من أعلام المالكية في تونس : علي بن زياد مؤسس المدرسة المالكية بتونس 96
بقلم الأستاذ أيمن القربي
هل أدلكم على تجارة رابحة 98
صالح المحاجة

الافتتاحية :

مواكبة لشهر رمضان وبيان لما تستوجبه مستجدات الحياة من تفاعل واجتهاد

على بركة الله وبعونه تدخل مجلة جوهر الإسلام سنتها الثالثة والعشرين و يقترن صدورهذا العدد بحلول شهر رمضان المبارك.

وقد حرصنا على أن تتضمن مواده ملفا شاملا عن هذا الركن من أركان الإسلام الخمسة خطتها أقلام ثلة من أسرة التحرير الأفاضل أجزل الله مثوبتهم فقد بينوا وذكروا بحكم وأحكام الصيام مستندين على ما جاء في كتاب الله العزيز و سنّة رسول الله ﷺ من هدي قويم يجعل من أداء المسلمين لعبادة الصيام على أصح الوجوه وأتمها يؤتي ثمرته المرجوة في حياتهم أفرادا ومجتمعات في عاجل حياتهم الدنيا وفي آخرتهم .

فالصيام مدرسة للصبر والمصابرة والتحكم في النفس وأهواءها وهو مدرسة للمساواة يؤدي الصيام جميع المكلفين ذكورا وإناثا وأغنياء وفقراء ورعاة ورعية لا يسقط القيام به إلا على ذوي الأعذار ممن عدد الكتاب العزيز ذكرهم وهو مدرسة للتراحم والتضامن والتآزر وهو مدرسة للإخلاص الذي هو شرط قبول كل أعمال المسلم مصداقا لقوله تعالى ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾ .

ولأن الصيام هو العبادة التي لا يعلمها من القائم بها إلا ربه الذي لا يخفى عليه شيء والذي (يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور) استحق الصيام أن ينسبه الله إليه وهو عمل العبد كما جاء في الحديث القدسي (كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فهو لي وأنا أجزي به).

وقد بينت أحاديث عديدة فضائل الصيام والأجر الذي أعده الله للصائم إيمانا واحتسابا بمعنى خلو هذا الصيام من كل ما يفسده ليس فقط ترك الأكل والشرب والجماع ولكن ترك كل ما سوى ذلك من الأقوال والأفعال المحرمة كما جاء في الحديث «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في تركه طعامه وشرابه». و(كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش) وأين من ذلك صيام المسلمين في هذا الزمان إلا من رحم ربك وقواستحق من يحييه الله إلى رمضان ولم يغفر له ان يدعو عليه جبريل عليه السلام بالبعد عن الجنة ويؤمن على دعايه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله امين امين. و(رمضان الى رمضان كفارة لما بينهما) كما جاء في الحديث الشريف. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مستهل خطبة استقبل بها رمضان(جاءكم شهر رمضان عظيم مبارك..) وهو بحق شهر عظيم و يكفي دليلا على عظمته ان الله خصه من بين كل اشهر العام بالذكر في كتابه العزيز فقال ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ**﴾ الذي هو اعظم كتي الله واشرفها

فهوالمعجزة الخالدة التي اختص الله بهاسيدنا محمدا عليه الصلاة والسلام و تعهد الله بحفظه فقال جل من قايل ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

واما ان رمضان شهر مبارك فانه الشهر الذي يتضاعف فيه ثواب اعمال المسلم – الفرايض والنوافل- وتفتح فيه أبواب الجنان ويستجاب فيه الدعاء وتتوج كل تلك البركات بليلة مباركة هي ليلة القدر التي تكرم بها الله على الامة المحمدية يتكرر مدد الله في كل شهر رمضان من كل عام الى ان يرث الله ومن عليها يقول جل من قايل ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ * سَلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾.

كل هذه المعاني والعبر والدروس يجده االقارئ مفصلة في مقالات هذا العدد إضافة الى جدول لاحكام الصوم واجوبة مدققة محققة عن كل الاسيلة التي يحتاج فيها الصايم الى ما يجعل صيامه صحيحا ولا يقبل الله من الاعمال الا ماوافق الصواب راجين ان تتحقق بكل ذلك الإفادة ويحصل منه الثواب والمدد والسند من الله لتواصل هذه المجلة صدورها تنير للناس سبل الله القويمة لمن يجاهدون في الله اهواءهم وانفسهم الامارة عملا بقوله جل من قايل(والذين جاهدوا لنهدينهم سبلنا).

0و يجد القارئ في هذا العدد ملفا يتضمن بحوثافي مسالة الاجتهاد ومدى الحاجة الماسة اليه في هذا العصر كتبها ثلة من اعلام بلاد الغرب الإسلامي (فضيلة الشيخ العلامة محمد الفاضل ابن عاشور رحمه الله وفضيلة العلامة عبد الله بن بية امد الله في أنفاسه والدكتور مصطفى قطب سانو والدكتور محمد البشاري) فيها بيان لشروط الاجتهاد و ضرورةاعتبار المقاصد والمالات و عدم اهمال للمستجدات ومايطرا في حياة الناس من نوازل يتوالى بروزها و ظهورها وهو ما يفرض على اهل الذكر من علماء الشريعة افرادا وهييات ان يتفاعلوا معها بالقيام بمهمة الاجتهاد جلبا للمصلحة التي انبنت عليها احكام الشريعة الإسلامية نصا ومقصدا و متفتحين على اهل الذكر في كل الاختصاصات(اذ الحكم على الشيء فرع من تصوره) راجين ان يتحقق بما يتضمنه هذا العدد من جوهر الإسلام في الملفين المذكورين وفي بقية المواد القارة المامول والمرجو والله الهادي الى سواء السبيل.

رئيس التحرير

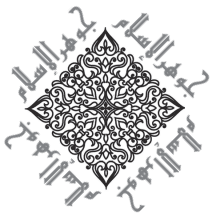

تفسير آيات من القرآن الكريم

بقلم الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله

قال الله تعالى بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿**وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ * كَلَّا وَالقَمَرِ * وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ * وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ * إِنَّهَا لَإِحْدَى الكُبَرِ * نَذِيرًا لِلْبَشَرِ * لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ**﴾ سورة المدثر الآيات 33/ 37

كنا أسلفنا توضيح ما هدد الله به الوليد ابن المغيرة واضرابه من الماكرين القساة الذين اتخذوا المراء والافتراء والكيد طريقا لهم في مقاومة الدعوة ووضحنا كيف ان الله انزل وينزل بهم في هذه الحياة الوانا من العذاب تجعلهم يندمون حيث لا ينفع الندم ولا تنتهي تلك المآسي التي تحل بهم في الدنيا حتى تسلمهم إلى عذاب أنكى وحسرة أمر في دار الخلود حيث ينتهي لديهم الحول والطول ويضمحل الظهر والنصير يوم تأخذهم سقر وما أدراك ما سقر تلك التي قال الله عنها انها ﴿**لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ * لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ**﴾، عليها من الملائكة الغلاظ الشداد تسعة عشر ، ولقد أشرنا إلى العدد الذي قلنا انه يكفي للقيام بشؤون جهنم ومن فيها سواء أكان يعني الاحاد ام الطوائف، ولقد تعرضت هذه الآيات إلى ردود الفعل التي يحدثها ذكر الاعداد فيما يخبر عنه المولى من مغيبات كسبع سماوات وسبع جنات وكحملة العرش الثمانية (يحمل عرش ربك فوقهم ثمانية) وجعل الانباء عنه معيارا من معايير الايمان.

﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ هذه هي ردود الفعل الطبيعية فصلها القرآن للمؤمنين بحكمة ودقة ليزدادوا ايمانا وثقة واطمئنانا ويبعد عنهم وعن أهل الكتاب المتضلعين المؤمنين كل انواع الشك والريب وتنذر الكفرة الفجرة الذين غلفت قلوبهم وسبقت كلمة العذاب فيهم والمعاندين الذين أصابهم الحسد فمرضت قلوبهم وانحرفت أذواقهم ونصبوا أنفسهم أعداء للقيم والفضائل لأنها اتت عن غير طريقهم أو دعا اليها من هم في نظرهم ليسوا أهلا للدعوة اليها، فهذا الصنف من الكافرين ومن مرضى القلوب الحاسدين ليس غريبا ان تقوم قائمتهم وان تثور ثائرتهم عندما يقول لهم القرآن ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ حتى نرى بعض المتنطعين منهم يتحدّى بكل وقاحة ويقول أنا أكفيهم اثنين من هؤلاء التسعة عشر الذين ينذركم بهم محمد فهل تستطيعون ان تردعوا البقية؟ وما درى هذا الارعن الحموق، أن واحدا فقط من ملائكة الله الذين هم نور محض يتصرفون بالارادة الالهية المحضة يستطيع ان يطبق الاخشبين على أهل مكة أو أن يجعل الارض عاليها سافلها نظير ما فعل الله بقوم لوط وعاد وثمود، وحقا فانها لا تعمى الابصار لكن تعمى القلوب التي في الصدور ولقد صدق ربنا الذي عقب على مقالاتهم بقوله ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ﴾ ان الضلالة والهداية من الامور التي يسوقها الله لمن يشاء ويصرفها عمن يشاء اذ قلوب العباد كما يقول الحديث الشريف بين اصابع الرحمان فاذا وجهها وجهة الخير تفتحت أمامها المغلقات ونفذت بصيرتها إلى حقائق الاشياء فعلمت علما يقينيا ان كل ما في الكون ومن في الكون من محسوسات ومدركات هو من جنود الله التي تخضع لأمره وتدين لسلطانه (**انما امرنا لشيء اذا أردناه ان نقول له كن فيكون**) هو الذي يمسك السماء ان تقع على الارض وهو الذي يرسل الصواعق فتصيب من يشاء وهو الذي يرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته وهو الذي يبعث ريح السموم فتجتاح الاخضر واليابس وتذر الحقول المخضرة يابسة وهو الذي يرسل الجراد والقمل والضفادع والفئران والطير وهو الذي يخنق الانفاس ويبعث العلل والاوصاب ويبلبل العقول والالسنة فكيف يمكن اذا ان نعجب من عدد يعده او من أجل يمده او من حد يحده ؟ هو الحق وغيره الخيال والسراب ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ﴾ فما سقر اذن وما الزبانية وما

اختلاف الليل والنهار وما تفتح العقول وانغلاقها الا من قبيل الذكرى لهذه البشرية التائهة التي قد يبطرها النعيم وتغرها السلامة ويطغيها السلطان، فلا عجب اذن من ان يردعها الله سبحانه وتعالى بكلمة «كلا» الشديدة العنيفة ومن ان يقسم بالقمر المتألق في الليل البهيم الذي ينير الكون بشعاعه وهو صالح لأن يهب للمتأملين من ضيائه ما يغسل منهم البواطن بانوار الحق وان يقسم ايضا بذلك الليل الساجي الذي يذكر ادباره ليفسح المجال للصبح المسفر بتقلبات احوال الانسان وتحوله من شك وحيرة وعناد إلى رضى ومسرة واطمئنان.

هذه الايات الكبر التي جعلها الله سبحانه وتعالى نذرا وعظات لأبناء آدم تكفيهم لو كانوا يفقهون مغبة الحيرة والضلال والعناد، فمن أراد منهم ان يتقدم في تأمله او يتأخر سوف يجد في كونه الواسع العريض من آيات الله الناطقة والصامتة ما يجعله من افضل المؤمنين ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الأَلْبَابِ**﴾ انها آيات لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، وانها لآيات لمن أصاخ بسمعه لربه الذي يعاتبه فيقول ﴿**وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ * وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ * فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ**﴾.

من آخر إصدارات الأستاذ صالح العود
كتاب تعطير الكلام في سيرة شيوخ تونس الاعلام

تقديم الشيخ عبد القادر عاشور خطيب مسجد عمر بن الخطاب باريس
ترجم فيه الشيخ صالح العود
لاصحاب الفضيلة(محمد الحبيب النفطي ومحمد الطاهر الجوابي وعبد العزيز مزيد
وعبد الرحمان الخفيان ومحمد بوالاجفان وعبد الرحمان خليف ومحمد الشاذلي النيفر
ومحمد الهادي الكشط ومحمد محفوظ وجلول العرافة رحمهم الله)
جزى الله خيرا الأستاذ صالح العود على وفائه وجهوده في التعريف باعلام تونس.

ملف الاجتهاد

الاجتهاد ماضيه وحاضره
(القسم الأوّل)

بقلم فضيلة الشيخ الفاضل بن عاشور ـ رحمه الله[1]

جاء الدين الاسلامي يكشف للناس- في جلاء- حقيقة وجودهم، فينبههم من الغفلة التي كثيرا ما استولت عليهم، اذ توهموا وجود الانسان مقصورا على مظهره المادي: يبتدئ بالميلاد، وينتهي بالوفاة. فدعاهم الدين إلى الافاقة من تلك الغفلة، ومعرفة حقيقة وجودهم على وجهها الكامل: بادراك المبدأ والمعاد، والاقلاع عن الاوهام والاباطيل التي حجبت تلك الحقيقة عنهم.

وجعل توجيههم إلى ادراك ذلك بحملهم على الاهتمام بملاحظة المدركات الحسية، والاحتفاظ بملاحظاتهم، وترتيبها في اذهانهم، ترتيبا يولد لهم الحكم باثبات المبدأ، بطريقة من النظر العقلي المترتب على النظر الحسي، حتى إذا ايقنوا بان مبدأ وجودهم هو ارادة الموجود الواجب، التي ابرزتهم من العدم، اسلموا وجودهم إلى صانعه، واذعنوا لتلقي ما يأتيهم من قبله، مما يعرفهم بحقيقتهم، ويبين لهم طريق سعادتهم من طريق شقائهم.

(1) مفتي الجمهورية بتونس، عضو مجمع البحوث الإسلامية بالازهر الشريف (من بحوث دورة المجمع في 1964)

فلما علموا بالعقل أن المبدئ قادر على أن يعيد، وتلقوا من لسان الوحي اثبات المعاد، وايقنوا أن إلى ربهم الرجعى، وان لمبدئهم ومعيدهم رضا على بعض ما يأتون من اعمال وسخطا على بعضها، وان آثار رضاه وسخطه إنما تبدو في حياة المعاد، اذ تترتب السعادة على رضا الخالق والشقاء على سخطه، كان يقينهم بذلك حاملا لهم على أن يتهيأوا لاتباع ما يرضي الخالق، واجتناب ما يسخطه حرصا على نجاة أنفسهم

وكان لهذا الشعور الديني سلطان على ما عند الانسان من قابلية التصرف الاختياري في اعماله. اذ اصبح الانسان- بحرصه على نجاته وسعادته- متوجها إلى جعل الاعمال الصادرة عنه على الصورة التي عرفه الوحي انها ترضي الله فتجلب له بذلك سعادة المعاد.

وبهذا صار الانسان مكلفا، أي: محمولا على أن يحدّد حريته في التصرف في اعماله الدنيوية، بما من شأنه أن يجعل تلك الاعمال عائدة عليه بمجالب السعادة والنجاة، لا أن ينطلق مع اختياره بمقتضى ما عنده من حرية في التصرف، ولهذا سمي «التكليف»، لأنه الزام بما فيه كلفة، وهي كلفة تقييد حرية الانسان في اختيارر المقدور من افعاله، وقد جعل الإمام أبو اسحاق الشاطبي- في الموافقات – «المقصد من الشريعة إخراج المكلف عن داعية هواه حتى يكون عبدا لله اختيارا كما هو عبد له اضطرارا» وبهذا الاعتبار صارت اعمال الانسان- من حيث كونها مطابقة لما عرف انه يرضى الله أو ليست بمطابقة- موصوفة بالحسن والقبح، على ما هو المراد بالحسن والقبح الشرعيين المبحوث عنهما في اصول الفقه. والحسن والقبح، بهذا المعنى، وصفان عارضان لأفعال الانسان، ليسا ذاتيين للفعل، ولكنهما متعلقان به من حيث نتيجته في المعاد: ثوابا وعقابا، وهذا اثر للاعتقاد في المعاد، والاعتقاد في صحة ما جاء به الوحي من تعيين للافعال المرضية لله تعالى وغير المرضية له.

وعلى دوران الافعال الانسانية على هذين الوصفين: الحسن والقبح، قام الشرع، وترتب الحكم الشرعي: الذي عرفه الإمام الرازي، في المحصول، بانه خطاب الله تعالى المتعلق بافعال المكلفين بالاقتضاء أو التخيير «يعني أن الخالق يبلغ الانسان بطريق الوحي انه يطلب منه فعل شيء أو تركه، وذلك هو المراد بالاقتضاء، أو يبقى للانسان اختياره الاصلي، بحيث يكون سواء في جانب رضا الخالق فعله الشيء أو تركه. فيرجع الحكم الشرعي إلى الحظر والاباحة. بمعنى أن الانسان في كل ما هو

صالح لان يصدر عنه من أفعال: بين أفعال مكنه الشرعة من حق ارتكابها، أو زاد على التمكين فطلبها منه، فهي حسنه، وبين أفعال حظرها عليه، فإذا هو ارتكبها بعد حظرها كان ارتكابه ذلك فعلا قبيحا.

هذا هو الاصل في ارتباط الانسان بالاحكام الشرعية، ارتباطا ناشئا من العقيدة الدينية، وراجعا إلى علاقة العبد بخالقه، مستندا من هاته الجهة إلى علم الكلام، ومستمدا منه، على ما بينه إمام الحرمين في «البرهان» والغزالي في «المستصفى»

ووراء هذا يأتي النظر في المناسبات التي باعتبارها يرضى الله عن الفعل أو لا يرضى. فقد اخبر الله بواسطة الوحي – أن اقتضاءه من عباده ارتكاب الافعال أو اجتنابها، إنما هو لمصالحهم الفردية والاجتماعية في معاشهم ومعادهم، ليطهرهم من الفواحش والمنكّرات، ويسلك بهم طريق العدل والاحسان، ويقرر بينهم السكينة والامن والهناء، ويعدهم للسعادة الابدية في الحياة الاخرة. وقد برهن الشاطبي على أن هذا المعنى- وهو أن وضع الشرائع إنما هو لصالح العباد في العاجل والاجل- هو قطعي حاصل من استقراء الشريعة استقراء لا نزاع فيه، وان تكاليف الشريعة ترجع إلى حفظ مقاصدها.

ولما كانت هذه المقاصد إنما تعتبر من حيث تقام الحياة الدنيا للحياة الاخرى، وكان العقل الانساني قاصرا على أن يلم بتلك الحيثية من صلة الحياة المادية بما بعدها، صلة هي مرجع الحقيقة الكلية للوجود الانساني التي اختصت ببيانها الاديان، وكانت مغالبة الاهواء والنوازع والشهوات قد تصد العقول عن الادراك الصحيح لما هي مهيأة لإدراكه بالخلقة، زيادة على أن ملاحظة المنافع العاجلة قد يذهل عن التفكر في عواقبها، وكانت المنافع والمضار مشوبا بعضها ببعض، من شأن ذلك -كله- أن يجعل العقول بحاجة إلى تعاليم من الشرع، تهديها إلى الحقائق التي لولا ارشاد الوحي لما عرفت أصلا، فلزم عصمة الانسان من الخطأ في ادراك المصالح الدنيوية، أو تكميل قصوره عن ادراك المصالح الاخروية، أن يأتيه الوحي بشرائع تتبين بها الاعمال الحسنة من الاعمال القبيحة.

وهذه الشرائع لم تات معطلة للعقل، ولا عازلة له عما هو مهيأ له من الادراك، ولكنها توجهت إلى العقل ليتلقاها، ويعيها ويطبقها، ويحقق بوعيها وتطبيقها ما هو مقصود منها من خير. وقد اثبت الشاطبي أن المقصود من الشريعة: الافهام،

والتكليف، والامتثال.

جاءت اقوال من كلام الوحي، تفيد الانسان الاحكام الشرعية، وليست تلك الاقوال بمعطية الاحكام بذاتها، ولكنها تفيد الاحكام بطريق الدلالة، والمكلف- بعقله- يستفيد ما دل عليه قول الوحي من حكم ليعمل به، ويحقق لنفسه بالعمل بالحكم ما هي متطلعة اليه من السعادة. فيلزمه أن يبذل جهده في استفادة ما جاء به كلام الوحيين لأنه إذا لم يستفد، كان الله قد بلغ اليه شرعا عن طريق الوحي، وهو الذي قصر في العمل به، لانه لم يبذل جهده في استفادة ما تدل كلمة الوحي عليه، ولذلك سموا استفادة المكلف الحكم من كلام الوحي «اجتهادا»، وعرفه شهاب الدين القرافي انه «استفراغ الوسع في النظر فيما لا يلحقه فيه لوم شرعي»

ولم تعتبر اقوال الوحي هي الاحكام، وإنما اعتبرت «ادلة للاحكام»، لما بينا من أن الحكم لا يظهر منها إلا لمستفيده، إذا وجه همه، وبذل جهده في ذلك.

فكل مكلف على تعدد المكلفين، وتعاقب ازمانهم، واختلاف امكنتهم، وتباين صور الافعال الصادرة عنهم، والاحوال التي يكونون عليها، ما هو مطلوب بان يعرف الحكم الشرعي المتعلق باي فعل من افعاله، وجوبا اوندبا أو جوازا أو كراهة أو تحريما، وتلك المعرفة لا تحصل إلا بالرجوع إلى ما يتضمن الحكم المطلوب من كلام الوحي. وظاهر أن صور الاعمال المطلوبة احكامها من كلام الوحي. وظاهر أن صور الاعمال المطلوبة احكامها من كلام الوحي، متكاثرة إلى حد يفوق- بنسبة بليغة- عدد الاقوال، مع كونها كلها مندرجة فيها، فيكون اشتمال تلك الاقوال على الافعال المتعلقة بها الاحكام اشتمالا اجماليا، بحيث انها تدل عليها كما يدلّ الكلي على جزئياته، والمجمل على تفاصيله. ولذلك سميت الاقوال المرجوع اليها: ادلة، واعتبر الحكم مستفادا منها بالاستدلال.

وتسمى تلك الادلة: «المدارك» كما سماها حجة الاسلام الغزالي في «المستصفى»، وتسمى أيضا: «الاصول»، لأن الاحكام مأخوذة منها، واصل الشيء -لغة- ما منه الشيء، ولذلك تسمى الاحكام: «الفروع»، لأنها مأخوذة من الادلة أو الاصول.

فالعمل الاستدلالي التفصيلي الذي يستفيد به المكلف الحكم فيه مجال واسع لعمل العقل في الاستدلال الذي يحصل به العلم، ويسمى هذا العلم: «الفقه». ولذلك

عرف الفقه بأنه « العلم بالاحكام الشرعية العملية المكتسب من ادلتها التفصيلية»، كما في «جمع الجوامع»، وعرفت اصول الفقه بأنها: «أدلة الفقه الاجمالية».

فمعرفة الحكم الشرعي- على هذا- هو الفقه، وهي معرفة تحصل بالاستدلال العقلي على الحكم من دليله السمعي، الذي هو الاصل أو المدرك، ولذلك اعتبر الفقه هو الاجتهاد والفقيه هو المجتهد[1].

وهذا العمل، الذي نسميه: فقها اواستدلالا أو استنباطا أو اجتهادا، لما كان وسيلة إلى امتثال المكلف للحكم الشرعي المتعلق بفعله، فانه مطلوب لكل مكلف بوصف كونه مكلفا مطلوبا بالعمل بالحكم، فحق الاجتهاد بحسب الاصل أن يكون من الفروض العينية. ولكن بهذا الوجوب العيني بحسب الاصل يمنع من تحققه في الواقع أن الذين يحسنون فهم الادلة السمعية ويحسنون الاستدلال بها على الاحكام، ويدركون خصائص الجزئيات ومقومات الكليات، ويعرفون كيف يندرج هذا في ذلك، ويراعون تحقق المعنى الكلي في الصورة الجزئية، إلى غير ذلك- لا يمكن أن يكونوا هم جميع المكلفين. فان من المكلفين من لا تتوافر فيه الاهلية لذلك، ومنهم من لا يتسع وقته له، ولو تعلق طلب الاجتهاد بجميع المكلفين، تعلقا عينيا لاقتضى منهم التفرغ عن كل شاغل، فتعطلت المصالح، ولم يبق من يقوم بصناعة، أو يحترف حرفة، أو يتولى منصبا عاما.

ومن هنا نشأت عند الاصوليين مسألة جواز التقليد...فبعد أن اتفقوا على أن الاصل عدم التقليد، وان كل مكلف يجتهد لنفسه، فرضوا أن من لم يجتهد لنفسه:هل يصح له أن ياخذ بالحكم الشرعي المتعلق بفعله من مكلف آخر استفاده بالاستدلال واخبره به، بحيث يبقى وجوب العلم بالحكم وجوبا عينيا، ويبقى الاجتهاد لاستخراج الحكم واجبا في كل مسألة، إلا أن اقتضاء الاجتهاد يصبح خارجا عن خطاب التكليف داخلا في خطاب الوضع، باعتباره سببا لمعرفة الحكم الواجب على فلان، تحقق بواسطته أو بواسطة غيره... ولذلك جعلوا جواز التقليد استثناء من الاصل، وخصصوا محل الاستثناء بصورة تعذّر الاجتهاد على مكلف طالب للحكم، وهو الذي سموه العامي، وبقي الوجوب العيني على اصله بالنسبة لمن جاد حفظه وحسن ادراكه وطابت سجيته وسريرته – كما قال القرافي في «التنقيح»: وانتقل الحكم بالنسبة لعموم الامة من الوجوب العيني إلى الوجوب الكفائي، بحيث يلزم أن يكون

(1) جمع الجوامع بشرح المحلي، الكتاب السابع في الاجتهاد

في الامة طائفة يتفقهون في الدين حفظا للشرع من الضياع. وقد نقل عن الإمام مالك انه قال: يجب على العوام أن يقلدوا المجتهدين كما يجب على المجتهدين النظر في الادلة. ومع ما ابدع الشيخ أبو عبد الله بن قيم الجوزية في ابطال التقليد، واحسن في التفصيل والتعليل

والمناظرة، فانه لم يخرج في النهاية عما انتهى اليه جمهور الفقهاء والاصوليين من الاقرار بصورة يجوز فيها التقليد، وصورة يجب فيها وجوبا.

وهذا الطريق النظري الذي سلكه الاصوليون لجواز التقليد إنما جاء مقررا لحقيقة ترجع إلى مبدأ ظهور الاجتهاد، وتدخل تحت المسألة التي اهتم بها علماء الاصول من أبي بكر الباقلاني فمن بعده، وهي مسألة التعبد بالقياس والاجتهاد في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، وهي المسألة التي يبتدئ منها النظر في تاريخ الاجتهاد، كما فعل القرافي في «التنقيح»، وقد رتب الاصوليون بحث هذه المسألة على مقامين: الجواز، والوقوع. فبعد النظر في الجواز وصوره واحواله، نظروا في الوقوع، فاثبتوا أن الفتيا وقعت في حياة النبي صلى الله عليه وسلم منه ومن أصحابه، بما اقتضى انه صلى الله عليه وسلم اجتهد وقاس في القضاء والفتيا،وان الصحابة استفتى بعضهم بعضا وقلد بعضهم بعضا فيما افتوا به، بالاجتهاد، أو قضوا. وجاء علماء الحديث والسير يتتبعون ذلك في موارده الجزئية، ووقائعه المعينة، فاثبتوه بصورة تظاهرت فيها الظواهر حتى حصلت معلوما يقينيا على الاجمال: بان الرسول صلى الله عليه وسلم اجتهد في الاحكام، وان من الصحابة من افتى، ومنهم من استفتى، وان أهل الفتيا منهم متفاوتون كثرة وقلة. ففي الاقضية النبوية والفتاوى ألف أبو عبد الله محمد بن فرج مولى ابن الطلاع كتابا طبع في مصر باسم «اقضية رسول الله صلى الله عليه وسلم، وألف ظهير الدين المرغيناني الحنفي كتابا في الاقضية النبوية أيضا، ذكره في «كشف الظنون»، وألف صلاح الدين الصفدي كتابا في تلخيص «اقيسة النبي صلى الله عليه وسلم» يوجد بمكتبة شيخ الاسلام في المدينة المنورة. وفي فتوى الصحابة ترجم ابن سعد في «الطبقات»، لمن كان يفتي بالمدينة ويقتدى به من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد ذلك وسمى فيه، واورد أحاديث عمن كانوا يفتون في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم[1]

ونقل الإمام ابن القيم في «إعلام الموقعين» عن ابن حزم، انه جمع الذين حفظت

(1) 2/ 340، 350 ، ط بيروت

عنهم الفتوى من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فكانوا مئة ونيفا وثلاثين، وقد رتبهم ثلاث درجات: المكترثين، والمتوسطين، والمقلّين.

ولا شكّ في أن ممارسة الاجتهاد من لدن افراد من الصحابة، في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وشهودهم اجتهاد النبي صلى الله عليه وسلم في اقضيته وفتاويه، وشهود بعضهم اجتهاد بعض، ومراجعة بعضهم بعضا في ذلك، ورجوعهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيما يتراجعون فيه زيادة على تلقيهم الوحي مباشرة، واهتدائهم بهدي النبي صلى الله عليه وسلم، واستنارتهم بكلامه الحكيم ووجهه الكريم، قد هيأتهم لأن يكونوا أهل الاجتهاد من بعده، وقدوة الامة بما يفتون به من الاحكام الشرعية في المسائل النازلة بأفراد الامة وجماعتها. قال الإمام ابن القيم: «كما أن الصحابة سادة الائمة وأئمتها وقادتها، فهم سادات المفتين والعلماء». وهذا الحكم ليس تفصيليا عاما ولكنه حكم اجمالي تقوم على اجماله قرينة واضحة مما تقدم لابن القيم نفسه، من تعيين أهل الفتيا من الصحابة، بالاحصاء والتسمية، ومما تقدمت الاشارة اليه أيضا من الأحاديث التي نقلها ابن سعد في «الطبقات».

وذلك يقتضي أن من الصحابة من اختص بالاجتهاد والفتيا، وقصد في ذلك، ومنهم من لم يقصد لذلك ولم ينتصب له، فكما أن منهم القائد، ومنهم السياسي، ومنهم عالم الانساب، كذلك كان منهم الفقيه المجتهد، ومنهم غير المجتهد. وقد ثبت في كتب اصول الفقه أن الحنفية في مسألة الترتيب بين القياس وخبر الواحد، يفرقون بين الفقهاء من الصحابة وغير الفقهاء[1] وقد ترجم ابن سعد في الطبقات[2]: باب أهل العلم والفتوى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخرج فيه حديث القاسم بن محمد أن ابا بكر الصديق كان إذا نزل به امر يريد فيه مشاورة أهل الراي واهل الفقه، دعا رجالا من المهاجرين والانصار، دعا عمر وعثمان وعلي وعبد الرحمان بن عرف ومعاذ بن جبل وابي بن كعب وزيد ابن ثابت، وكل هؤلاء كان يفتي في خلافة أبي بكر، وإنما تصير فتوى الناس إلى هؤلاء، فمضى أبو بكر على ذلك، ثم ولي عمر «فكان يدعو هؤلاء النفر، وكانت الفتوى تصير –وهو خليفة– إلى عثمان وابي وزيد، وقد ضبط ابن خلدون هذا المعنى واضحا في الكلام على علم الفقه من «مقدمته»، فقال «أن الصحابة لم يكونوا كلهم أهل فتيا، ولا كان الدين يؤخذ عن جميعهم، وإنما كان ذلك مختصا بالحاملين للقرآن، العارفين بناسخه ومنسوخه ومتشابهه ومحكمه وسائر دلالاته، بما تلقوه من النبي ﷺ أو ممن سمعه منهم من عليتهم، وكانوا يسمون لذلك القراء»

(البقية في العدد القادم)

(1) التوضيح لصدر الشريعة مع حاشية التلويح ص 433، استانبول 1310، والمنار
(2) ج2،ص 350

الاستيعاب الشرعي للمستجدّات العلميّة

بقلم العلامة الشيخ عبد الله بن بيّة

رئيس منتدى تعزيز السلم ـ أبو ظبي[1]

يجمع مؤتمر الاستيعاب الشرعي للمستجدات المختصين الشرعيين بنظرائهم من المختصين في علوم الواقع في تلاقح للفُهوم وتلاقٍ للعلوم، محاولةً لإسناد الرأي الشرعي بتصور أفضل وفهم أدق للمسائل المستجدة، ولمشاركة علماء الطبيعة استفسارات علماء الشريعة، ليمكن الوصول من خلال ذلك كله إلى حكم شرعي أقرب لروح الشريعة وأوفق لأحوال النّاس.

وعلى مستوى كلّي أعلى، يأتي مؤتمرنا هذا إسهاما في بلورة الموقف الحضاري للمسلمين في إشكالات تهمّ الإنسانية جمعاء، على صعيد القيم، حيث يدور نقاش كوني اليوم حول الحاجة إلى الربط الواصب بين التطوّر العلمي وبين الأطر الأخلاقية التي تعلي من مكانة الانسان وتصون كرامته وتحمي حياته.

ونحن، كغيرنا، مطالبون بتقديم موقفنا، انطلاقا من إيماننا بأن ازدهار واستقرار الإنسانية لا يكفي في تحصيلهما توفُّر الأسباب والشروط التقنية، والاقتصادية، بل يستوجبان القدرةَ على إثراء الوجود بمضامين قيمية ومعانٍ سامية، ويتطلبان نظرة شاملة للحياة مبنية على التناغم بدل التصادم والتعاون بدل التنازع. وذلك كله يؤكد الحاجة إلى أطر أخلاقية تنير الطريق وتهدي السبيل.

(1) الكلمة التأطيرية لمؤتمر الاستيعاب الشرعي للمستجدات الذي انعقد في أبو ظبي.

وجل القضايا التي نناقش في هذا المؤتمر هي همّ إنساني لأن ما تطرحه من معضلات أخلاقية وعملية لا يختص بدين دون دين ولا بجنس دون جنس.

فعلى سبيل المثال، يثير الذكاء الصناعي قضايا فلسفية وقيمية تتعلّق حتى بمعنى أن نكون بشراً نحيا حياة كريمة. وفي هذا السياق، قام منتدى أبوظبي للسلم بعقد شراكة وتعاون مع كلية الحياة في الفاتيكان للعمل على تطوير منظومة أخلاقية وقيمية توجه ذلك المجال، لأنه همّ عالمي مشترك.

وهكذا فهذا المؤتمر أحد تلك الاستجابات لهذه المستجدات لكن من ناحية فقهية.

ثانيا: ماذا نعني بالمستجدات؟

الجدّة سمة هذا العصر وقيمته الجُلَّى ومبدأه الأساسي، فهو عصر التغيّرات المتدفّقة، والكشوفات المتوالية، عصر الانفجار المعرفي الكبير.

ولفرط توالي المستجدات وتعاقب المبتكرات، أصبح كلُّ جيل يكاد يعيش في عالم جديد مغاير في كثير من مناحيه لعالم سَلَفِهِ الأدْنَيْن، لا في سماته الجزئية التي أثارتها الكشوف العلمية والمخترعات الجديدة، وما أتاحته من إمكانات هائلة وتطورات مذهلة، غيّرت الحياة من الذرة إلى المجرة، بل وفي أبعاده الكلية كذلك، التي تطبع شتى مجالات الحياة ومختلف المظاهر والتجليات.

والمستجدات عبارة عن منتج علمي له تأثير على الحياة سواء تعلق الأمر بالصحة الجسدية أو النفسية او المجال الأخلاقي أو النظام العام.

على أن الوعي بهذه الجدة، يقابله الوعي بالثَّبَات المتأصّل في طبيعة الوجود، فما تحت الشَّمْسِ من جديد، فكلّ جديد مهما كان بدعا وبدا أُنُفا، لا يعدو لدى التحقيق أن يكون صورة مستحدثة لحقيقة قديمة، لا سيما أن الذي يتوجّه إليه الخطاب وتتعلق به القيمُ إنما هو فعل الانسان.

فهذه الأشياء مهما جدّت فإن الإنسان الذي هو مناط التكليف ومحلّ الخطاب، لا جديد فيه، ولا تبديل لكينونته البشرية، فهي هيَ في سَعتها وضيقها، ورخائها وفقرها، وضروراتها وحاجاتها، في سموها للخير وجنوحها إلى الشر.

ثالثا: ما هو الاستيعاب الشرعي للمستجدات العلمية؟

الاستيعاب الشرعي للواقع والمستجدات، مظهر من مظاهر الشريعة السمحة الحنيفية في كونيتها وشمولها لكل مظاهر الحياة، وهذا الاستيعاب الشرعي لا يقصد به التضييق على النّاس في حياتهم وإدخال المشقة عليهم والعنت في معايشهم، بل ديننا دين سعادة واطمئنان، فالحرج مرفوع والمشقة تجلب التيسير والأمر إذا ضاق

اتسع، وفي الحديث عن أبي أمامة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "بعثت بالحنيفية السمحة" أي السهلة الميسرة، رواه أحمد في المسند، وذكره البخاري معلقا بقوله: باب الدين يسر وقول النبي صلى الله عليه وسلم: "أحبّ الدين إلى الله الحنيفية السمحة"[1]. وورد في مصنف عبد الرزاق تفسيره مرفوعاً بأنها الإسلام الواسع. فهذه الأحاديث تعطي للسماحة معنى اليسر والسهولة والسعة مما يدلّ على رفع الإصر والحرج والبعد عن الضيق والتشدّد.

وإنما يتحقق الاستيعاب من خلال خصائص تتسم بها الشريعة، تمنحها مرونة وقدرة على التعامل مع كل جديد في يسر وسهولة، فمن ذلك:

- **أصالة ورحابة دائرة المباح في الشريعة ومحدودية دوائر النهي** وقد قرّر إمام الحرمين الجويني هذا المعنى في البرهان (إنَّ مَنْ تأمل قواعد الشريعة وجدها مترددة بين طرفين أحدهما محصور والآخر غير محصور، فالنجاسة محصورة والطهارة لا حصر فيها، والتحريم محصور والإباحة لا حصر لها، فالواقعة إذا تردّدت من الطرفين ووُجِدَتْ في شِقِّ الحَصْر فذلك، وإلا حُكم فيها بحُكْم الشِّقِّ الآخَر الذي أُعْفِيَ الحصر عنه). وهذا الكلام يعني ما قرره الفقهاء من أن الطهارة أصل في الأعيان، وأن الإباحة أصل في الأشياء والأعمال. واستدل المالكية على هذا الأصل بأنّ النص أتى بالمحرمات محصورة ثم فتح كما في قوله تعالى: ﴿**قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۚ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾.
- **قاعَدة العفو: وذلك بإثبات مرتبة العفو**، وهي مساحة خارجة عن الأحكام الخمسة لدى الشاطبي، قريبة من ما يعرف في القانون ب"الفراغ التشريعي"، وهو أصل يرجع إليه عند سكوت الشارع، وعدم ثبوت سبب أو قيام مانع. فعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها، ونهى عن أشياء فلا تنتهكوها، وحدّ حدودا فلا تعتدوها، وعفا عن أشياء رحمة بكم لا عن نسيان؛ فلا تبحثوا عنها"، وفي رواية أخرى: "وما سكت عنه فهو عفو، فاقبلوا من الله عافيته؛ فإنّ الله لم يكن ينسى شيئاً، ثم تلا هذه الآية: ﴿**وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا**﴾".
- **قاعدة الملاءمة وعدم المنافاة**: ومعناها التمييز بين العبادات والمعاملات، فمجال العبادات ضيق ولا بد فيه من الملائمة فلا يستحدث في العبادات إلا ما شرع الله، ولكن في المعاملات والعادات يتوسع ما لا يتوسع في الأولى فيقبل كل ما لا ينافي الشرع وإن لم يأت فيه التنصيص عليه، وفي هذا المعنى يقول الشاطبي في الموافقات: القاعدة المستمرة في أمثال هذا التفرقة بين العبادات والمعاملات، فما

كان من العبادات لا يُكتفى فيه بعدم المنافاة دون أن تظهر الملاءمة؛ لأن الأصل فيها التعبُّد دون الالتفات إلى المعاني، والأصل فيها ألا يقدم عليها إلا بإذن؛ إذ لا مجال للعقول في اختراع التعبُّدات؛ ...وما كان من العاديات يُكتفى فيه بعدم المنافاة؛ لأن الأصل فيها الالتفات إلى المعاني دون التعبد، والأصل فيها الإذن حتى يدل الدَّليل على خلافه".

ونخلص من ذلك إلى أن الاستيعاب الشرعي هو قدرة النظر الفقهي، بأصوله ومناهجه، على مواكبة مسيرة الحياة من خلال وصل المستجدات بحبل الدين، وإيجاد الحلول المناسبة، واقتراح الصيغ الملائمة، وهو الاستجابة الشرعية لإلحاح الواقع المتغير الباحث عن أجوبة عملية في قضايا متنوعة تمس حياة الأمة في شتى المجالات والميادين في وقت واحد وفي كل مكان، من خلال عملية مركّبة تربط في توازن دقيق بين النصوص الحاكمة والمقاصد الناظمة والمصالح اللازمة، وفي توازن بين الانضباط في الاستنباط وبين سعة الشريعة ويُسرها.

رابعا: كيف تتعامل المنهجية الفقهية مع المستجدات؟

السؤال الأهم الذي يثيره الاستيعاب الشرعي هو سؤال كيف؟ كيف يتم هذا الاستيعاب وما هي أسسه ومنهجيته؟

شراكة الواقع:

ينطلق الفقيه في رحلة الاستنباط، من وعيه بأهمية الرّبط بين منظومة الدليل الشرعي وبين الواقع.

وذلك أن الأحكام الشرعية التكليفية بعد نزولها تظل معلقة حتى تتوفر أسبابها في وجود مشخّص هو الوجود الخارجي.

وبعبارة أخرى، خطاب الوضع هو البيئة الأصولية لإنزال الحكم، وهو الذي يحوط خطاب التكليف ويكلؤه، ولهذا كان خطاب الوضع بالمرصاد لخطاب التكليف، ليقيد إطلاقه، ويخصص عمومه، فقيام الأسباب لا يكفي دون انتفاء الموانع، ولن تُنتج صحة أو إجزاء دون توفر الشروط سواء كانت للوجوب، أو شروط الأداء أو الصحة، فلا بد من تحقيق المناط للتدقيق في ثبوت التلازم طرداً وعكساً.

ومن نصوص العلماء الدالة على هذا المعنى ما نقل عن العز بن عبد السلام من قوله: "يحدث للناس في كل زمان من الأحكام ما يناسبهم"، وقال تلميذه القرافي: "الجمود على النصوص أبداً ضلال وإضلال"، يقول ابن القيم: إن المفتي الذي يطلق حكما واحدا في كل حالة هو مثل طبيب له دواء واحد كلما جاء مريض أعطاه إياه، بل هذا المفتي أضر، ويضيف الشاطبي أن الرباني هو الذي ينظر في كل حالة

ليقدم الحكم المناسب.

ذلك هو مبدأ تحقيق المناط وهو النمط الثالث من الاجتهاد الذي لا ينقطع مدى الدّهر، وبه يتحقّق التطابق الكامل بين الأحكام الشرعية وتفاصيل الواقع المراد تطبيقها عليه. ولذلك فإن الفقيه، فقيهَ النفس، هو صاحب البصيرة والبصر، الذي ينظر بعينين، عين على العصر وعين على الأصل، بالأولى يستلم المقدمة النظرية أو العلمية المعرفة بالواقع وهي صغرى قياسه، ومن الثانية يستلم المقدمة النقلية أو الكلية الشرعية وهي كبرى قياسه، ومن الاثنتين وما فيهما من حدّ وسط هو الوصف المؤثّر (العلة)، يتوصّل إلى النَّتيجة وهي الحكم الشرعي.

تلك هي الصورة النموذجية للنظر الفقهي لدى البحث عن حكم المستجدات، ويمكن تقسيمها إلى مرحلتين.

المرحلة الأولى: التشخيص والتوصيف:

حيث يتعرّف على الواقع تعرّفا موجّها بغاياته العملية، ويستلم المقدمة الأولى وهي المقدمة النظرية أو العلمية.

ويحتاج الفقيه في هذه المرحلة إلى رأي وعلم الخبير الذي هو العالم في العلوم الإنسانية أو الطبيعية.

والخبير يقدّم الواقع كما هو بكل تفاصيله وشياته ومن مختلف زواياه، ليكون النظر أكمل والإدراك أتمّ، فيتطلب كل العوارض والأعراض اللازمة أو شبه اللازمة للشيء، مستخرجا العناصر الأساسية التي قد تساعد الفقيه في بحثه عن الحكم، فيجيب على أسئلة كثيرة هي المفاتيح للتعامل، فما المستجد؟ وما خصائصه؟ وما الباعث عليه؟ هل من ضرورة أو حاجة؟ وهل من بدائل أخرى؟ ما هي مزاياه؟ وما هي مخاطره وأضراره؟ وحيث كان جلُّ المسائل المستجدة يؤول النظر فيها إلى قواعد المصالح، فإن المختص ينبغي أن يعنى كثيرا بتحقيق القول في مستوى الضرر والضرورة، فإنه قد تقرّر في الشرع أن الأصل في كل ما يضرُّ المنع، وبالعكس الأصل في كل ما لا ضرر فيه الجواز.

ومنشأ **الصّعوبة هنا هو التباسُ المصالح** بالمفاسد، فما من مصلحة إلا وفيها مفسدة في وجه من الوجوه، ولا توجد مفسدةٌ عريةٌ من مصلحة من وجه، كما يقول الشاطبي، فالعبرة بالغلبة، فما كانت المصلحة فيه أغلبَ اعتبر مصلحةً، وما كانت مفسدتُه أغلبَ اعتبر مفسدةً. فالنظر المطلوب من المختصّ هو الموازنة بين المصلحة والمفسدة أو بين مصلحتين أو مفسدتين، وقد يُسمى هذا النوع بارتكاب أخف الضررين أو اعتماد أصلح المصلحتين، أو درء المفاسد مقدم على جلب المصالح. فكلّ تلك الموازنات

تدخل في تحقيق المناط، الذي يقوم الخبير بصياغة مقدمته الأولى.

المرحلة الثانية: المعالجة الفقهية:

فمن خلال التشخيص والتوصيف يدلف الفقيه إلى المحطة الثانية وهي محطة التّكييف والمعالجة الفقهية، حيث يضع اسما وعنوانا شرعيا على الحدث الواقعي ليصيره حدثا فقهيا وشرعيا، فالتكييف عملية معقدة تمكّن الفقيه من إسناد اسم إلى شيء أو حالة، ليتسنّى له بإثر ذلك أن يُلزم المسند إليه أحكاما أو قِيَماً.

نجاح هذه الخطوة يتمثل في العثور على العنوان الشرعي المناسب من ضمن لفيف كبير من العناوين والمفاهيم الشرعية، وفق هندسة دقيقة، هي صناعة الفقيه الخاصة التي بها يصير فقيها.

وفي هذه المرحلة يحتاج الفقيه إلى استنفار أدوات الاجتهاد ومولدات الأحكام الجزئية عن طريق إثارة ونثر مكنونات الكليات التي ارتضتها الأمة أسساً لاستنباط الأحكام من النصوص في مختلف دلالاتها، من منطوق النص وإشارته، ومن خارج النص في أروقته كمفهوم الموافقة ومفهوم المخالفة، وحول النص في جاذبية مقاصده وقواعده من قياس بل أقيسة واستصحاب حكم العقل المبقي على نفي التكليف وفي ضوء المصالح المعتبرة والمرسلة وظلال الاستحسان والذرائع سداً وفتحاً والعوائد والأعراف المشروعة تحت سقف المقاصد الثلاثة الكبرى بصفتها الكلي الأعلى الذي لا كلي وراءه كما يقول الشاطبي والقواعد الخمسة التي بني عليها الفقه كله.

الخاتمة:

من خلال هذه المنهجية المقترحة للمواءمة بين خبرة الخبير وفقه الفقيه تولد الأحكام الشرعية وتنبثق القيم الأخلاقية، محققة لمصالح الإنسان في العاجل والآجل، أفرادا ومجتمعات. وبهذه المنهجية نسائل المواضيع المطروحة على جدول أعمال المؤتمر، مسائل الغذاء والدواء ونوازل الفضاء والذّكاء، وهي قائمة لا تدعي الحصر ولا تروم الاستيعاب، وإنما هي نماذج أردناها دالة على ما وراءها، ومشيرة إلى ما خلفها، وإنما القصد والغاية هو البعد المنهجي.

فتطورات الذكاء الاصطناعي امتزجت فيها المصالح والمفاسد والاضرار والمنافع ولم يتبين فيها الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر.

أما سؤال الرحم المستعارة، فالتبست فيها المفاهيم وغاب فيها الانتماء واختلطت فيها قواعد البر والقرابات التي جعلها الله سياجا يحفظ كينونة الانسان كما في قوله تعالى ﴿**وَلَا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ**

أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ﴾...

وحليب الأطفال الخداج، تدور مسألته بين الحاجة وخشية الافضاء البعيد إلى المحرمية، وغياب اليقين حول أفضليته أو مساواته لأنواع الحليب الأخرى مما يحدده خبراء الصحة والتغذية. أما اللحوم المستنبتة، فما كان منها من حيوان مذكى تنفع فيه التذكية أو من النباتات أو المعادن فلا إشكال فيه، وما كان من سواها، فأمره يرجع إلى قاعدة الفرق بين الابتداء والانتهاء. فقد يكون حكم الابتداء مخالفاً لحكم الانتهاء عند الضرورة الفقهية (فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ).

وفي مسائل الفضاء، التقدير للأوقات، والاتجاه للقبلة، والطهارة كل تلك القضايا يسعف في التعامل معها قاعدة (الأمر إذا ضاق اتسع).

تلك بعض الاشكالات التي يثيرها النظر الفقهي الأخلاقي في مثل هذه النماذج التي أردناها مُلمعة إلى ما ورائها منبهة بإشارتها إلى القضايا التي على مؤتمركم هذا أن يناقش منهجية التعامل معها.

وختاما، فما ذكرته آنفا ليس المقصود منها تقديم فتوى جاهزة ولا رأيا شرعياً محررا وإنما هي إشارات وإثارات وتذكرة وذكرى (فإن الذكرى تنفع المؤمنين).

من مؤلفات العلامة فضيلة الشيخ عبد الله بن بيه

(رئيس منتدى ابوظبي لتعزيز السلم ورئيس مجلس الامارات للافتاء الشرعي)

*تنبيه المراجع في تاصيل فقه الواقع

* مشاهد من المقاصد

* صناعة الفتوى وفقه الأقليات

* مقاصد المعاملات ومراصد الواقعات

* سد الذرائع وتطبيقاته في مجال المعاملات

* توضيح أوجه الاختلاف في مسائل من معاملات الأموال

الى جانب عناوين أخرى وفتاوى وبيانات وورقات عمل قدم به فضيلته مؤتمرات منتدى ابوظبي لتعزيز السلم.

بارك الله في جهوده وامد في أنفاسه ونفع بعلمه الامة انه سبحانه وتعالى سميع مجيب.

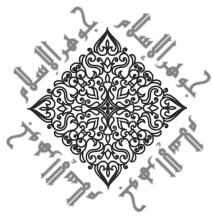

من أدوات النظر
الاجتهادي المنشود

الاداة الرابعة: علم المقاصد

بقلم الدكتور مصطفى قطب سانو
الامين العام لمجمع الفقه الاسلامي الدولي جدة

لئن أوجزنا الحديث عن أهمية المعرفة الأصولية ودورها في تحقيق الغاية الأولى من النظر الاجتهادي المنشود في هذا العصر، فإننا نستعجل بالقول بأنه لا تمام لتحقيق هذا الأمر، ما لم يتمّ الاستعانة بمعرفة أخرى نراها صنو المعرفة الاصولية. ولئن أكدنا مرارا وتكرارا على أنه ينبغي أن يكون للنظر الاجتهادي المنشود في ضوء واقعنا المعاصر غايتان عظيمتان، وهما: التوصل إلى فهم سديد للمعاني المرادة للشارع من نصوص الوحي كتابا وسنّة من جهة، وضمان حسن تنزيل تلك المعاني المفهومة والمجسّمة في الذهن في الواقع المعيش من جهة أخرى، وذلك سعيا إلى حسن الربط بين معاني النصوص ومقاصدها ومآلاتها عند الوقوع الفعليّ، لذلك، فإننا نرى أن تحقيق الغاية الاولى من هذا النظر يتوقف توقفا أساسيا على إتقان ثلاث معارف وهي: المعرفة اللغويّة، والمعرفة الاصولية، والمعرفة المقاصدية[1] وبما أنه

(1) وقد أشار إلى هذا الامر الإمام الشاطبي عندما فرق بين انواع الاجتهاد، وانتهى إلى القول بان الاجتهاد إذا تعلّق باستنباط الاحكام من النصوص، فلا بدّ من اشتراط العلم بالعربية..«وإن تعلق بالمعاني من المصالح والمفاسد مجردة عن اقتضاء النصوص لها، أو مسلمة من صاحب الاجتهاد في النصوص، فلا يلزم في ذلك العلم بالعربية، وإنما يلزم العلم بمقاصد الشرع من الشريعة جملة وتفصيلا. والدليل على عدم اشتراط علم العربية أن علم العربية إنما يفيد مقتضيات الالفاظ بحسب

قد اوسعنا ما يناط بالمعرفتين الأوليين من أهمية قصوى ومكانة سامية في مجال النظر الاجتهادي المنشود في هذا العصر خاصّة، وفي كل عصر عامة، فإننا نرى أن نولي وجهنا شطر المعرفة الثالثة، وهي المعرفة المقاصدية.

إن المعرفة المقاصدية التي نرومها في هذه الدراسة تتمثل في تمكن المتصدّي للنظر الاجتهادي في هذا العصر من **حسن إدراكٍ لجملة المعاني والغايات والحكم والاهداف الثابتة العامّة والخاصّة والتي لاحظها الشارع الحكيم في جميع احوال تشريعاته المتعلقة بالفرد والمجتمع، سواء أكانت تلك التشريعات عقدية أم خلقية أم عملية**[1]

ما يفهم من الالفاظ الشرعية، وألفاظ الشرع المؤدية لمقتضياتها عربية، فلا لمن ليس بعربي أن يفهم لسان العرب، كما لا يمكن التفاهم بين العربي والبربري، أو الرومي، أو العبراني حتى يعرف كل واحد منهم لسان صاحبه. وإما المعاني المجردة، فالعقلاء مشتركون في فهمها، فلا يختص بذلك لسان دون غيره. فإذن، فمن فهم مقاصد الشريعة من وضع الأحكام، وبلغ فيها رتبة العلم بها، ولو كان فهمه لها من طريق الترجمة باللسان الاعجمي، فلا فرق بينه وبين من فهمها من طريق اللسان العربي. ولذلك يوقع المجتهدون الأحكام الشرعية على الوقائع القولية التي ليست بعربية، ويعتبرون الألفاظ في كثير من النوازل..» انظر: الموافقات 162/ 4 وما بعدها. ومن الواضع في هذه العبارات اعتبار فهم مقاصد الشريعة من النصوص غير منبثق بالضرورة عن فهم العربية، وهذا مما يؤكد على ما نرمي اليه في هذا المجال، نعني أنه قد يتوافر المرء على فهم العربية، وفهم الاصول، بيد أنه يظل فهم المقاصد أمرا مفقودا أو عليلا لديه، مما يوجب ضرورة اشراف المجتهد في فهم النص الشرعي على العلم الذي يعينه على فهم المعاني التي تدل عليها نصوص الكتاب والسنة سواء كانت تلك المعاني أحكاما شرعية تكليفية أم وضعية، أم كانت مقاصد وغايات وأهدافا يسعى الشرع إلى تنظيم حياة البشر وفقها وعلى هديها.

(1) ثمة تعريفات متعددة لمقاصد الشريعة، ولعلّ اهمها وأكثرها ضبطا ما ذكره الإمام ابن عاشور في كتابه، بأنّ المراد بالمقاصد هي «..المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها بحيث لا تختصّ ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة..» انظر تعريف مقاصد التشريع العامة لابن عاشور مقاصد الشريعة العامة 50 باختصار، وقد كان ابن عاشور من كبار المنادين إلى استقلال مبحث مقاصد الشريعة عن علم الأصول، وتدوينه علما مستقلا قائما بذاته، وسيأتي نص ما قاله في ذلك بعد قليل.

ولئن حاولنا صياغة تعريف للمعرفة المقاصدية المرادة في هذا العصر، فإننا نودّ أن نؤكد بان هذا التصور الذي صغناه قائم على مراعاة معنى مقاصد الشريعة، وعلى اعتبار قيد (علم) بمثابة ضابط وموجه لتلك المعاني والاهداف والغايات. ومما ينبغي الاشارة اليه في هذا المقام محاولة صاحب (نظرية المقاصد عند الإمام ابن عاشور) وضع تعريف لعلم المقاصد عندما قال: «..يمكن أن يعدّ هذا العلم عبارة عن جملة من الاصول المقصودة شرعا التي يتوسل بها في فقه الشريعة تفسيرا وتعليلا واستدلالا..» انظر: نظرية المقاصد عند ابن عاشور اسماعيل الحسني (واشنطن، المعهد العالي للفكر الاسلامي، طبعة أولى 1995م) 127 فهذا التحديد لمفهوم علم المقاصد ينقصه في نظرنا الدقة والضبط، ويشتمل دورا منبوذا في التعريفات والحدود، فلفظ (الأصول المقصودة) في معرض البحث عن تحديد علم المقاصد دور، كان الاولى الابتعاد عنه. ولهذا، فإننا نرى أن تحديد

إن التوصل إلى فهم سديد للمعاني الكريمة الثاوية بين جنبات نصوص الوحي يقتضي التمكن من هذه المعرفة المقاصدية الناصعة لمرامي ودقائق الخطاب الالهي، وذلك بوصفها المعرفة القديرة على عصمة نظر المتصدّي للنظر الاجتهادي من الوقوع في براثن التجزيئية والاحاديّة في التعامل مع الوحي الالهي، ولاشتمالها على جملة حسنة من المبادئ المعينة على حسن الربط بين المباني والمعاني، وعلى تحقيق انسجام بين الألفاظ والغايات، ولذلك، فإنه لا تحقيق لهذه الغاية الاولى ما لم يتمّ الإشراف على هذه المعرفة إشرافا غير مغشوش البتة.

وأما الغاية الثانية من النظر الاجتهادي المنشود في ضوء الواقع المعاصر، فإن تحقيقها يتوقف في نظرنا توقفا أساسيا على العلم بهذه المعرفة المقاصدية، وذلك لاشتمالها على مبادئ وكليّات من شانها تسديد الفهم وضمان حسن التنزيل والالتفات المبارك إلى مآلات الوقوع الفعلي للمراد الالهي في ارض الواقع.

إن مكانة هذه المعرفة في النظر الاجتهادي لا تقلّ بأي حال من الأحوال عن مكانة المعرفة الاصولية كما أسلفنا بل إنهما لتتمتعان بالمكانة والأهميّة ذاتها، فما لم يوسع المرء كلتيهما جانب الإتقان والإدراك والإحاطة، فإنه يكون من العبث أن يضيّع جهوده وطاقته في استخلاص المعاني والأحكام التي تدل عليها نصوص الوحي كتابا وسنة وفي هذا يقول الإمام الشاطبي ما نصّه: «**فإذا بلغ الإنسان مبلغا فهم عن الشارع فيه قصده في كل مسألة من مسائل الشريعة، وفي كل باب من أبوابها، فقد حصل له وصف هو السبب في تنزيله منزلة الخليفة للنبي صلى الله عليه وسلم في التعليم والفتيا والحكم بما اراه الله..**»[1]

ولئن أرجع الإمام الشاطبي ذات يوم كثيرا من الاخطاء التي يقع فيها كثير من العلماء الذين لا دراية لهم بالمعرفة المقاصديّة، وأكد بأنّ «..زلة العالم أكثر ما تكون عند الغفلة عن اعتبار مقاصد الشرع في ذلك المعنى الذي اجتهد فيه..»[2] فإن واقعنا يؤكّد هذا الأمر أيّما تاكيد، إذ أن سبب جملة من الانحرافات المعاصرة في التصور وفي التعامل مع نصوص الوحي وإدراك أولويات الدعوة والحركة في هذه المرحلة،

مفهوم المقاصد ذاته أساسا وأصلا، وبذلك يسلم تحديدنا له من الدور والغموض وعدم الدقة والضبط.

(1) انظر الموافقات 106 7 1

(2) انظر الموافقات 4/ 170 باختصار

يعود كل ذلك إلى عدم تمكن كثير من علماء العصر من هذه المعرفة، ونبذ أكثرهم الاهتمام بها وايلاءها ما تستحقّ من عناية ومكانة. ولذلك، فلا غرو أن تنتعش الفتاوى والأحكام التي لا تولي أدنى اهتمام بالمآلات التي تؤول إليها تلك الأحكام في أرض الواقع.

ورحم الله الإمام الشاطبي الذي استفرغ طاقته في تكرار الدعوة والحث على الاهتمام بهذه المعرفة في موافقاته الغرّاء، وانتهى في عصره إلى القول بان أسّ جلّ الانحرافات في المعتقد والعمل، آتٍ نتيجة الجهل المفظع بمقاصد الشريعة، فجملة الناس الذين ابتلوا بالجهل بمقاصد الشريعة، ولكنّهم مع ذلك يدّعون لأنفسهم الاجتهاد، تراهم يتجرؤون تجرؤا مهينا على أحكام الله وشريعته، ومن الأمر اليسير أن تجد بعضهم «..آخذا ببعض جزئياتها في هدم كلياتها حتى يصير منها إلى ما ظهر له ببادئ رأيه، من غير إحاطة بمعانيها ولا راجع رجوع الافتقار اليها.. ويعين على هذا –كما ينص الشاطبي– الجهل بمقاصد الشريعة، وتوهّم بلوغ مرتبة الاجتهاد..» بل ان انحراف الخوارج بفرقها وطوائفها، وضلال المبتدعة بصنوفها نابغ من وقوفهم عند «اتباع ظواهر القرآن، على غير تدبر ولا نظر في مقاصده ومعاقده.. فمدار الغلط.. إنما هو على حرف واحد وهو الجهل بمقاصد الشريعة، وعدم ضمّ أطرافه بعضها لبعض. فإن مأخذ الأدلة عند الأئمة الراسخين إنما هو أن تؤخذ الشريعة كالصورة الواحدة بحسب ما ثبت من كلياتها، وجزئياتها المرتبة عليها..فشان الراسخين تصور الشريعة صورة واحدة يخدم بعضها بعضا كأعضاء الانسان إذا صوّرت صورة مثمرة.. وشان متّبعي المتشابهات، أخذ دليل ما، عفوا وأخذا أوّليا، وإن كان ثمّ ما يعارضه من كلي أو جزئي، فكان العضو الواحد لا يعطي في مفهوم أحكام الشريعة حكما حقيقيا..»[1]

وقد عني علماء كثيرون بعد الشاطبي بالتنصيص على هذه الأهمية وإبراز ضرورة هذا العلم ودوره في فهم نصوص الوحي كتابا وسنة وذلك لأن «مقاصد الشريعة هي المرجع الابدي لاستقاء ما يتوقف عليه التشريع والقضاء في الفقه الاسلامي، وانها ليست مصدرا خارجيا عن الشرع الاسلامي، ولكنها من صميمه. وليست غامضة غموض القانون الطبيعي الذي لا يُعرف له حدّ ولا مورد..»[2]

(1) انظر الموافقات 4/ 174 إلى 179 باختصار وتصرف

(2) انظر مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها–علال الفاسي– (نشر مكتبة الوحدة العربية بدار

وأشار الاستاذ المودودي إلى هذا العلم، وعبّر عنه **بالتضلع بعلم القرآن والسنة،** واعتبره شرطا ضروريا واجب التوافر فيمن يتطلّع إلى النظر الاجتهادي، لأنّ هذا العلم لا يعرف المجتهد بموجبه ومواضعها فحسب، وإنما يعينه على فهم قواعد الكلية للشريعة وغاياتها الأساسية، ولذلك، فإنه «..**يجب أن يعرف المجتهد ماهي خطة الشريعة لإصلاح الحياة الانسانية في مجموعها، ويعرف إلى جانب ذلك ماهي مكانة كل شعبة من شعب الحياة في هذه الخطة الشاملة، وما هي الخطوط التي تريد الشريعة أن تنظم عليها مختلف شعب الحياة، وما هي المصالح التي ترمي اليها.. إن الاجتهاد شيء يتطلب من الانسان علما بالقرآن والسنة يوصله إلى مغزى الشريعة وجوهرها..**»[1]

وعلى كلّ، نستطيع أن نخلص إلى القول بان أهمية هذا العلم المقترح إضافته إلى كلّ ما سبق تكمن في نظرنا في اشتماله على قواعد ومباحث قادرة على حسن ضبط كثير من مستجدات العصر وقضاياه الجديدة وتوجيهها وفق إرادة الإسلام ورؤيته، إذ غدت الحاجة في هذا العصر ملحة إلى إبراز الأهداف والأسرار التي تحتويها الشريعة الإسلامية والتي تدلّ على صلاحيتها لكل زمان ومكان والتي تبرهن على مرونتها وسعتها وقدرتها على تسيير وتنظيم حياة البشر في كل عصر ومصر. وبما انّ الدراسات في هذا العصر قد أضحت تتمركز وتقوم على المنهجية العلمية الشاملة فإنه يمكن أن يكون هذا العلم الشرعي المرشّح لملء هذا الفراغ، ذلك لأنّ «..**المقاصد ليست أداة لإنضاج الاجتهاد وتقويمه، ولكنها أيضا أداة لتوسيعه وتمكينه من استيعاب الحياة بكل تقلباتها وتشعباتها..**»[2] ولتكميل المنهجية الإسلامية التي تمثلت ذات يوم في علم الأصول لولا الجنوح به نحو الاكتفاء بالوصول إلى الحكم الشرعي التكليفي والوضعي. ولهذا، فإننا نرى أنه لا بُدّ للمرء الراغب في التصدي للنظر الاجتهادي المتجدّد في نصوص الوحي كتابا وسنّة أن ينال نصيبه من هذا العلم، وأن يستولي على دقائقه وتفاصيله.

إن السبب في انتهائنا إلى اعتبار هذا العلم أداة من ادوات النظر الاجتهادي

البيضاء) 51-52 باختصار.

(1) انظر مفاهيم اساسية حول الدين والدولة للمودودي-مرجع سابق- 196 باختصار وتصرف

(2) انظر نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي أحمد الريسوني (الرياض، الدار العالمية للكتاب الاسلامي، طبعة ثانية 1992م)333.

المنشود في هذا العصر يقوم على ايماننا الأكيد بعدم خلو اي عصر عني فيه العلماء بتبيين آلات الاجتهاد من مراعاة تلك الآلات التي ينتهون اليها، البيئة والظروف وتأثرهما بهما تأثرا مباشرا وغير مباشر، ويكفي لإثبات هذا إلقاء نظرة عجلى في جنبات الآلات التي اعتبرها الإمام الشافعي آلات يتوقف على جمعها القياس، فلم يشر أثناء ذلك إلى آلة علم الأصول، لأن علم الأصول أيامئذ لم يكن قد دوّن بعدُ، وكذلك لم يتناول بالإشارة علم الخلاف لكونه أيضا متاخرا في التدوين. بل إن الآلات التي انتهى اليها جمهرة علماء الاصول من نهاية القرن الرابع إلى نهاية القرن الخامس قد خضع بعضها للعصر وتأثرت بالبيئة والظروف مثل مبادئ علم المنطق، إذ اشترط علماء اصوليون كبار أمثال الباقلاني والجويني والغزالي ضرورة التمكن من تلك المبادئ قبل ممارسة الاجتهاد لاعتقادهم كون تلك المبادئ في تلك الايام هي الأساس الذي تقوم عليه بقية آلات النظر الاجتهادي المنشود آنذاك، ولذلك، فمن لم يُجدها، فإنه لا يليق به أن يجتهد في النص لا فهما ولا تنزيلا البتة. وليس من شك أن السبب في اشتراطهم هذه الأداة واعتبارهم اياها ضرورية في ذلك العصر يعود إلى ما تمتعت به مبادئ علم المنطق في أروقتهم من مكانة ومنزلة مرموقتين. حتى إذا ما تبدّل الوضع وتغيرت البيئة والظروف من نهاية القرن السادس إلى ما بعده، فإذا بهذه النظرة والموقف من المنطق وأربابه يتغيّر ويتبدّل تبدلا جذريا، فيفقد علم المنطق تلك المكانة والمنزلة، ويغدو محل نقد وانتقاد ورفض، بل يتحامل عليه إلى الدرجة التي يدفع بعضا إلى القول بأن من تمنطق تزندق!

إذن، بهذا يتبين لنا الدافع وراء اعتبارنا هذه الأداة أداة من أدوات النظر الاجتهادي المنشود في عصرنا هذا، ويضاف إلى هذا ما ذكره العلامة التونسي ابن عاشور رحمه الله: «..**إذا أردنا أن ندوّن أصولا قطعية للتفقه في الدين حُقّ علينا أن نعمد إلى مسائل اصول الفقه المتعارفة، وان نعيد ذوبها في بوتقة التدوين ونعيرها بمعيار النظر والنقد، فننفي عنها الأجزاء الغريبة التي غلثت بها، ونضع فيها اشرف معادن مدارك الفقه والنظر ثم نعود صوغ ذلك العلم، ونسمّيه علم مقاصد الشريعة، ونترك علم اصول الفقه على حالة تستمدّ منه طرق تركيب الأدلة الفقهية، ونعمد إلى ما هو من مسائل اصول الفقه غير منزو تحت سرادق مقصدنا هذا من تدوين مقاصد الشريعة، فنجعل منه مبادئ لهذا العلم الجليل علم مقاصد الشريعة..**»[1]

(1) انظر مقاصد الشريعة الإسلامية لابن عاشور – مرجع سابق– 8 باختصار

وعلى كلّ، إذا كنّا قد تبيّن لنا من اهمية هذا العلم وضرورته في عصرنا هذا، فإنه حريّ بنا ضبط القدر الذي يحتاج المرء إلى جمعه وإتقانه، فتبرأ ساحته من تهمة القصور وعدم أهلية النظر الاجتهادي المنشود. وأما القدر المحتاج إلى الإشراف عليه من هذا العلم فإنه يتمثل في القدر الذي يكسب المرء القدرة والمكنة من استخلاص مقاصد الشارع من نصوص الوحي عن طريق اشرافه على مسالك التقصيد التي تناولها الشاطبي في كتابه[1] وبلورها بعده بقرون الإمام محمد الطاهر ابن عاشور في كتابه مقاصد الشريعة الاسلامية[2] ويتمثل أيضا في القدر الذي يؤهل المرء للتمييز بين مراتب المقاصد من حيث الكليّة والجزئيّة، ومن حيث الأصلية والتبعيّة، ومن حيث

(1) وقد جعل الشاطبي الحديث عن مسالك المقاصد خاتمة كتابه، وقال إنه لا بُدّ من خاتمة تكر على كتاب المقاصد بالبيان، وتعرف بتمام المقصود فيه بحول الله...فبماذا يعرف ما هو مقصود للشارع مما ليس بمقصود له، وذكر اربعة جهات، ملخصها:
أ-تبيين المقصد الالهي من مجرد الأمر والنهي الواردين في النصوص، فالأمر دال على أن المقصد وقوع المأمور به، والنهي دال بذاته على أن المقصد الانتهاء عن المنهي عنه. ب-اعتبار العلل الواردة في الأمر والنهي لمعرفة مقصد الشريعة بعد معرفة تلك العلل وتعيينها عن طريق مسالك العلة التي انتهى اليها الاصوليون. جـ- الاعتبار بالمقاصد الاصلية في كل الأحوال، ذلك لأن المقاصد منها الأصلي ومنها التابع المؤكد له، فما كان من التابع مؤكدا للأصلي عمل به، وما كان مناقضا له، يردّ. د-سكوت الشارع عن حكم مع وجود معنى يقتضي ذلك الحكم، لأن سكوته والحال كذلك يقتضي منع ذلك الحكم. فهذه هي مسالك الكشف عن المقاصد عن الإمام الشاطبي، وبطبيعة الحال طرأ عليها تغيير وتطوير وضبط أكثر عند ابن عاشور والفاسي وغيرهما...انظر الموافقات 2/ 279 وما بعدها باختصار وتصرف

(2) ضبط الإمام ابن عاشور مسالك الكشف عن المقاصد تحت عنوان (طرق إثبات المقاصد الشرعية) وذكر أن مراده بهذا العنوان معرفة الطرق التي نستطيع أن نبلغ بها إلى اثبات أعيان المقاصد الشرعية في مختلف التشريعات، وكيف نصل إلى الاستدلال على تعيين مقصد ما من تلك المقاصد استدلالا يجعله بعد استنباطه محل وفاق بين المتفقهين ..وانتهى إلى وجود ثلاث طرق لذلك، وهذا ملخصه: استقراء الشريعة في تصرفاتها من خلال أحكامها المتعددة المتنوعة للانتهاء من ذلك الاستقراء إلى تعيين مقاصد الشريعة، وهذا على نوعين: أ-استقراء الأحكام المعروفة عللها الآئل إلى استقراء تلك العلل المثبتة بطريق مسالك العلة. ب-استقراء أدلة أحكام اشتركت في علة بحيث يحصل لنا اليقين بأن تلك العلة مقصد مراد للشارع. استخلاص مقاصد الشريعة مباشرة من تصريحات القرآن الكريم. الاستخلاص المباشر من السنة المتواترة، وذلك بما أما بما شاهده عموم الصحابة من اعمال الرسول، أو بما حصل لآحادهم من تكرر لمشاهدة تلك الأعمال الصادرة من الرسول. فهذه الطرق الثلاث هي طرق إثبات المقاصد الشرعية عند الإمام ابن عاشور.. ولا يزال المجال مفتوحا لكل من رزق بفقه وفهم وإخلاص لكي يكشف عن مسالك أخرى توصل إلى مقاصد الشريعة. انظر مقاصد الشريعة ابن عاشور 19 وما بعدها. وفصول في الفكر الاسلامي بالمغرب عبد المجيد النجار (بيروت، دار الغرب الاسلامي، طبعة أولى 1992م) 139 161.

القطعيّة والظنّية، ومن حيث الحقيقية والموهومة، إضافة إلى إدراك الفرد العلاقة الجدلية بين المقاصد ووسائلها من حيث الضرورية والاحتمالية، ومن حيث الثبات والتغيّر. فهذا القدر سيعين المتصدّي للنظر الاجتهادي على الابتعاد عن الخلط بين المقاصد الحقيقية والمقاصد الموهومة الناتجة عن قصر الفهم وكلله، كما سيعينه على حسن الربط بين ألفاظ النصوص ومقاصدها العامة والخاصة إضافة إلى حُسن إدراك غايات وأهداف الشريعة الكلية في جميع تشريعاتها السامية، كما انها ستساعده على حسن التمييز بين المقاصد ذات الوسائل الثابتة والمقاصد ذات الوسائل المتغيّرة والمتبدلة بتغيّر الأزمنة والأمكنة والأحوال.

وإنما يتأتى للمرء كل ما ذكرناه آنفا عن طريق إجادته بعض مباحث علم الأصول ومسائله، وعن طريق قوة الملاحظة، وجودة القريحة، وعن طريق إدراك خطة الشريعة الشاملة لإصلاح الحياة الانسانية في مجموعها، والخطوط الرئيسية التي تنظم عليها الشريعة مختلف شعب حياة الانسان على وجه البسيطة، إضافة إلى حُسن النية في اجتهاده.

وعلى العموم، فإننا نصل إلى نهاية الحديث عن هذه الأداة المهمة في النظر الاجتهادي المنشود اليوم، ولن ننسى في خضم ذلك من الإشارة إلى أن هذه المعرفة المقترحة علم المقاصد قد كانت ذات يوم، ولا تزال عند كثير من العلماء مبحثا من مباحث علم الأصول، وعلى وجه التحديد مبحث الإخالة والمناسبة في باب مسالك العلة. ولكننا نرى انه نظرا لسنة التطور والتغير التي تطرأ على المعارف البشرية برمتها، واعتبارا لما شهدته الأدوات المؤهلة للنظر الاجتهادي عبر تاريخ الفكر الاصولي الناصع، فإنه من وحي ذلك، ننطلق إلى الاعتداد بهذه المعرفة ضمن الأدوات المؤهلة للنظر الاجتهادي في هذا العصر، ونراها حريّة بالاستقلال عن المعرفة الاصولية، وان تفرد بالبحث والدراسة، وليس مقبولا في شيء أن تظل هذه المعرفة جزءا أو مبحثا من مباحث علم الأصول بعد أن أصبح البحث في علم الأصول أكثر اهتماما وتركيزا على الألفاظ والمباني دون المقاصد والمعاني.

إن معظم مسائل ومباحث اصول الفقه لم تعد تتمحور حول استنباط المقاصد والحكم من نصوص الوحي كتابا وسنة وإنما اضحت مسائله ومباحثه تدور حول القواعد التي تمكّن المرء المتضلّع من استنباط الأحكام الشرعية التكليفية من

نصوص الوحي كتابا وسنّة، وقصارى ذلك كله آيل إلى «.. محامل ألفاظ الشارع في انفرادها واجتماعها وافتراقها حتى تقرب فهم المتضلع فيها من أفهام صاحب اللسان العربي القحّ كمسائل مقتضيات الألفاظ وفروقها من عموم، وإطلاق، ونص وظهور، وحقيقة وأضداد ذلك..»[1]

ثم إنه إذا كان الله جلّ شأنه قد جعل شرف ابتكار وكشف علم الأصول على يد الإمام الشافعي رحمه الله فإنه يمكن القول بأنه جلّ شأنه قد قدّر أن يعود شرف الاهتمام العظيم والعناية الفائقة بهذا العلم إلى الإمام الشاطبي الذي وفّقه جلّ جلاله إلى تحديد معالم ومباحث هذا العلم منذ القرن الثامن الهجري[2]، فضمّن كتابه الجليل المسمى الموافقات اهم قواعد واصول هذا العلم وإن كان لم يسمه بعلم المقاصد[3]، واشبه سعيه في ذلك بسعي الإمام الشاطبي في ضبطه مباحث علم الأصول الذي لم يطلق هو الآخر على صنيعه في الرسالة اسم علم الأصول. ولكن إذا كان الله قد قيّض لعلم الاصول بعد الإمام الشافعي رجالا عنوا حثيثا ببلورة وتطوير ما ابتكره وابتدأه، فإن الأمر بالنسبة لعلم المقاصد لا يزال بحاجة ماسة إلى جهود مثابرة ومرابطة تسهر على تاصيل وتقعيد ما انتهى اليه الشاطبي من مباحث، وتعمل في الوقت نفسه في بلورة وتطوير الجوانب التي لم يوسعها الشاطبي جانب التأصيل المحكم ليوصل بهذا العلم بعد ذلك إلى ما وصل اليه علم الأصول بعد الشافعي إلى يومنا هذا.

إن السعي في بلورة هذا العلم وتطويره لا يتعارض مع اعتباره أداة من ادوات النظر الاجتهادي المنشود في هذا العصر، فالبلورة والتطوير والتكميل أمور ملازمة لسائر العلوم، ولا نعلم علما خادما- أنّى كان تاريخ نشأته- استغنى، أو يمكن أن يستغني في فترة من الفترات، عن هذه الأمور الضرورية لكل العلوم، ولذلك، فلا جرم أن يظلّ البحث في هذا العلم جاريا ومستمرا.

---

(1) انظر مقاصد الشريعة الإسلامية محمد الطاهر ابن عاشور (تونس، الشركة التونسية للتوزيع..) 6 باختصار

(2) وقد أشار إلى هذه البادرة الفريدة الإمام ابن عاشور، فقال منوها: «.. والرجل الفذّ الذي أفرد هذا الفنّ بالتدوين هو أبو اسحاق ابراهيم بن موسى الشاطبي المالكي إذ عني بابراز القسم الثاني من كتابه المسمى (عنوان التعريف بأصول التكليف في اصول الفقه) وعنون ذلك القسم بكتاب المقاصد ولكنه تطرح في مسائله إلى تطويلات وخلط، وغفل عن مهمات من المقاصد بحيث لم يحصل منه الغرض المقصود على أنه أفاد جد الإفادة..» مقاصد الشريعة 8

(3) ومما ينبغي التأكيد عليه في هذا المجال هو أن اول من نادى حسب علمنا في عصرنا هذا إلى تدوين علم يسمى علم مقاصد الشريعة هو الإمام المجدّد محمد الطاهر ابن عاشور رحمه الله وقد مرّ بنا آنفا نص ما قاله بهذا الخصوص. انظر مقاصد الشريعة 8

حق الكد والسعاية..
مقاربات تأصيلية لحقوق المرأة المسلمة

بقلم الدكتور محمد البشاري
الأمين العام للمجلس العالمي للمجتمعات المسلمة ـ أبو ظبي

يتناول هذا الجهد البحثي موضوع الكد والسعاية، في مسار تأصيل حقوق المرأة المسلمة وفق نظرة اجتهادية شرعية، لما له من أهمية بالغة في رد الاعتبار للمرأة المسلمة وللعمل على حفظ حقوقها وللاعتراف على ما تقوم به من جهد وعمل داخل البيت أو خارجه. وتعد هذه النازلة الفقهية مهمة أيضاً لما يترتب عليها من ارتقاء في التماسك الأسري وتوثيق روابط العلاقة الزوجية، حيث تزيد من اعتبار كلا الزوجين بعضهم بعضاً كما تلعب دوراً مهما في تحصين مال الزوج من السحت وأكل مال زوجته وكدها وتعبها بالباطل.

وتأتي هذه النازلة في وقت زاد فيها عدد حالات الطلاق والمشاكل الزوجية لتعيد كلمة الله الحق في قلوب الناس وترشدهم في الطريق الإسلامي، طريق الهدى والنور. فعالمنا المعاصر ومنه عالمنا العربي والإسلامي، لم يستثنى من تفشي ظاهرة التمزق الاسري حيث تستمر نسبه في التزايد، وتعتبر فئة المطلقات اللواتي كن متزوجات لسنوات عديدة فئة هشة ومهضومة الحقوق في هذا الجانب بشكل خاص، سيما لما يجدنه من تجريد حقوقي في مشروع التنمية الاقتصادية للأسرة التي انفصلت عنها، والتي كانت شريكاً رئيساً في قوامها وتطورها، لتجد نفسها بعد الطلاق مجردة من حقها المبذول في الكد والسعاية، ناهيك عن تخلي بعض الأزواج عن مسؤوليته في

النفقة على الأولاد وغيرها، كظروف مصاحبة للانفصال عن العلاقة الزوجية التي باتت المرأة تدفع ضريبتها «مضاعفة».

وبعد السبر في مجالات وزوايا هذا الجهد البحثي المتواضع، وجدنا أنَّ لمسألة حق الكد والسعاية المثارة في القرن العاشر ما يفند مزاعم الذين قالوا بغلق باب الاجتهاد، ويدل على أن حركة الاجتهاد الفقهي لم تنقطع على مدار السنين وفي مختلف الأمصار. وفي النظر الفقهي للمسألة اعتبار واضح للواقع على أساس أنه شريك في استنباط الاحكام الفقهية، فلم ينبع من ترف فكري تنظيري ، وإنما هو تفعيل أحكام الشرع في الواقع بمحاكاة مستمرة ومستميتة لقضايا الناس.

وفي إمعان الحركة الفقهية المالكية التي شاعت لدى الغرب الإسلامي في مجال النوازل الفقهية، نرى أن الحراك الفقهي المستمر ومنها نازلة سعاية المرأة وكدها، مثال واقعي وقوي، على حجم التجاذبات التي كانت بين الفقهاء، والتي جاءت لتؤثث مسرح أحداث ودراسات الاختلاف المذهبي في تاريخ الغرب الاسلامي. فإن الوقوف على نماذج من هذا النوع، من الاختلاف المذهبي في تاريخ الغرب الاسلامي، لحقيق أن يمكننا من ملامسة جهود الفقهاء، وأدلة كل طرف، والاقتراب من بنيتها الاستدلالية، ونسقها الدلالي.

وإن نظام الكد والسعاية أو إدارة الأموال الأسرية أحد أهم بنود التدبير التعاقدي لأحوال الاسرة والتي يرفع الحرج عن المكلفين بإعطاء المرأة المسلمة كامل حقوقها بتقدير كل عمله في سبيل خدمة بيت الزوجية أو المشاركة في بنائها وتنمية ثروتها، وهو ما يتطلب وجود نشاط إيجابي[1] يقوم به الساعي يؤدي إلى تكوين ثروة أسرية أو الزيادة في نمائها، على أن تكون تلك الزيادة راجعة في سببها إلى ذلك النشاط الإيجابي.

و أن موقف الفقهاء من نظام الاتفاق المتبادل بين الزوجين هو موضوع ذو أهمية كبيرة في مجال قانون الأسرة، حاولنا وضع مقاربة بحثية في وجهات نظر الفقهاء ، ودراسة وجهات نظرهم حول النظام وآثاره في إجراءات الزواج والطلاق، بالتعريج على بعض التعقيدات القانونية المحيطة بهذا النظام وتقديم رؤى قيمة للممارسين وصانعي السياسات والأفراد الذين يتعاملون مع تعقيدات الخلافات الزوجية.

(1) محمد الخضراوي: دور المجلس الأعلى في حماية حقوق المرأة، م.س، صفحة رقم: 126-127.

إن إدراج حق الكد وسعاية كنظام إلزامي مدني، ذي مرجعية شرعية وتطبيق تاريخي، من الأمور الأساسية التي علينا النظر فيها، لما تحمله من آثار وامتدادات ملموسة ومهمة على حاضرنا بل ومستقبل أجيالنا الصاعدة، وبخاصة، أنه من صلب أعمال ومهام العلماء الأمناء استباق حلول فقهية تعمل على تأطير وتأصيل الأحكام في النوازل المطروحة، وذلك بالرجوع إلى بعض المقاصد الشرعية والقواعد الفقهية والاصولية المهجورة مثل «ما جرى به العمل» الذي اختص به مالكية الغرب الإسلامي والذي يهدف إلى الأخذ بأعراف مشهورة لدواعي الضرورة، أو لمصلحة شرعية خدمة للفرد وللصالح العام، بما يتطابق مع القاعدة الفقهية: «درء المفاسد مقدم على جلب المصالح» ، وباب «سد الذرائع» ، وعليه يكون الأخذ بمبدأ حق الكد والسعاية ، وسيلة شرعية تسمح بالمحافظة على مصالح العباد ومنها إنصاف المرأة وتقديرها و صون كرامتها وتمكينها من نيل حقوقها.

ومن الجوانب المميزة التي يخرج بها هذا المؤلف إزاء حق الكد والسعاية، اعتباره **الحق الذى يمنح المرأة جزء من ثروة زوجها نظير عملها معه، وفى تكوين ثروته وهذا الجزء بعيداً عن نصيبها المفروض شرعاً في الميراث أو بعد الانفصال،** ليصبح آلية قانونية عرفية ممكن أن تساعد في الاجتهادات القضائية في الدول العربية والإسلامية، بل أن تدرج في قوانينها المنظمة لشؤون الاسرة، وقد يعتمد عليها التحكيم الإسلامي في المجتمعات المسلمة أو ممكن تكييفها مع بعض مخرجات الاحكام القضائية في الغرب، فتضمن للأفراد المساهمين في تكريس الثروة الأسرية أو تنميتها، إمكانية المطالبة بحقوقهم المالية المترتبة عن مساهمتهم في تلك الثروة من المفاهيم القانونية التي بدأت تعرف اهتماماً ملحوظاً ما قبل العديد من المنشغلين بقضايا الأسرة ونظامها المالي، إذ تفيد التكاملية، هذه، الشراكة في الحياة بما فيها من تكلفة وأعباء وسعادة وهناء، فالرجل والمرأة شريكان في بناء الأسرة والإتيان بكل شروطها ومسبباتها حتى تتحقق أهداف الزواج من سكن وسكينة وطمأنينة وتربية الأولاد والاهتمام بمستقبلهم. إذ لا يتحقق للأسرة ذلك بدون جهود الطرفين كلاهما على حد سواء، والمرأة شريك في الداخل بحرصها القيام بإدارة البيت الداخلي وتهيئة المناخ الإيجابي للنهوض والتنمية وتساهم مباشرة أو غير مباشر في التنمية المالية لبيت الزوجية.

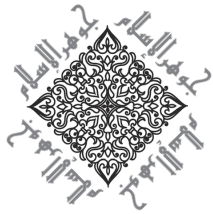

في رياض السنّة

الاربعون النووية
الحديث الثامن والعشرون
التقوى والطاعة وإتباع السنة

بقلم الأستاذ محمد صلاح الدين المستاوي

عن أبي نجيح العرباض بن سارية رضي الله عنه قال : «وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا، قال: أوصيكم بتقوى الله عز وجل والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد فانه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار». رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن

العرباض بن سارية راوي هذا الحديث من أهل الصفة وهم كما قال النووي «زهاد من الصحابة فقراء غرباء كانوا يأوون إلى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وكانت لهم في آخره مصفة وهي مكان منقطع من المسجد مظلل عليه يبيتون فيه وكانوا يقلون ويكثرون ففي وقت كانوا سبعين وفي وقت غير ذلك» انظر شرح البرخيتي للحديث الثامن والعشرين.

كان العرباض رضي الله عنه من الزهاد البكائين من خشية الله والذين يحبون لقاء ربهم كان يقول في دعائه «اللهم كبر سني ووهن عظمي فاقبضني إليك» توفي العرباض سنة خمس وسبعين للهجرة.

قال العرباض «وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها الدموع قلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا».

*والوعظ هو النصح والتذكير وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعهد أصحابه بالمواعظ المؤثرة التي تخشع لها القلوب وتذرف منها العيون بالدموع تأثرا وخشية من الله.

وهذه الموعظة لاحظ عليها الصحابي العرباض بن سارية إنها كانت موعظة بليغة فيها إنذار وتخويف وتحذير ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتصر في مواعظه على مناسبات معينة كالجمع والأعياد بل كان يتعهدهم بالموعظة كلما رأى حاجة إلى ذلك وهو عليه الصلاة والسلام مأمور بذلك وذلك من صميم رسالته يقول جل من قائل مخاطبا نبيه ورسوله عليه الصلاة والسلام﴿**وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا**﴾ وهل هنالك من هو اقدر من رسول الله صلى الله عليه وسلم كي يقول القول البليغ الذي ينفذ إلى القلوب؟ فهو عليه الصلاة والسلام من لا ينطق عن الهوى وهو عليه الصلاة والسلام الداعي إلى الله على هدى وبصيرة.

علامات الواعظ المثالي

*ومن يسلك منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الوعظ والإرشاد مطلوب منه ومدعو إلى أن يترسم خطى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي ليست بالمهمة السهلة لأنها تتطلب إخلاصا لله سبحانه وتعالى خاليا من كل الشوائب كما تقتضي من القائم بها علما يستطيع به أن يميز بين الحق والباطل والخير والشر والحلال والحرام، كما أن الواعظ مطلوب منه أن يتوخى الحكمة والرفق واللين وكل ذلك بينه كتاب الله العزيز وسنة وسيرة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام وهو سيد الواعظين يقول جل من قائل مخاطبا نبيه ورسوله عليه الصلاة والسلام ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ وقال وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾

ولكي يكون الوعظ نافذا إلى القلوب غير واقف عند حدود الآذان ينبغي أن يكون نابعا من قلب صاحبه ولذلك قيل «**من وعظ بقوله ضاع كلامه ومن وعظ بفعله نفدت سهامه**» وهي دعوة الحال يقول الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه لآل البيت رضوان الله عليهم «**كونوا دعاة لنا بأفعالكم ولا تكونوا دعاة لنا بأقوالكم**». وسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام آتاه الله جوامع الكلم فجاءت مواعظه بليغة مؤثرة، وهو عليه الصلاة والسلام فضلا عن ذلك موعظة مجسمة، وهو قرآن يمشي على الأرض، لما سئلت السيدة عائشة رضي الله عنها عن أخلاقه قالت : «**كان خلقه القرآن**» انه عليه الصلاة والسلام الأسوة والقدوة والمثل «**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة**» وقال جل من قائل على لسانه ﴿**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ**﴾ وخشية القلوب

وخوفها من عذاب الله وعقابه منزلة رفيعة عالية تنم عن قوة إيمان، وتنم عن صدق وإخلاص وهي مرتبة لا يمكن بلوغها وتذوق حلاوتها إلا بجهد كبير ومجاهدة لا هوادة فيها ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا**﴾ والبكاء من خشية الله دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال «**ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا فإن أهل النار يبكون حتى تسيل دموعهم في وجوههم كأنها جداول حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء فتقرح العيون**». وقال عليه الصلاة والسلام «**لا يلج النار من بكى من خشية الله عز وجل حتى يعود اللبن في الضرع**». وقال عليه الصلاة والسلام «**ما من قطرة أحب إلى الله من قطرة دمع من خشية الله أو قطرة دم أهرقت في سبيل الله**». وقال كعب الأحبار «**والذي نفسي بيده لأن ابكي من خشية الله تعالى حتى تسيل دموعي على وجهي أحب إلي من أن أتصدق بجبل من ذهب**».

وقيل لعطاء السلمي ما تشتهي ؟ قال **أن ابكي حتى لا اقدر أن ابكي**.

فلا بد مع بيان الأحكام من الحلال والحرام من الوعظ الذي فيه ترهيب وتخويف لا يصل إلى حد التقنيط من روح الله ورحمته الواسعة التي بشر بها الله عباده ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾ فالقنوط يتولد عنه اليأس ولا ييأس مَن رحمة الله إلا الكافرون ﴿**إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلَّا القَوْمُ الكَافِرُونَ**﴾.

فمع كل هذه الضوابط تستحب الموعظة المؤثرة التي تخشع عند سماعها القلوب وتذرف لها الدموع «**عينان لا تمسهما النار عين بكت في خشية الله وعين باتت تحرس المسلمين**» حديث.

*قال الصحابة رضي الله عنهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم «**قلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا**».

هذا ما تبادر إلى أذهانهم رضي الله عنهم، وخصوصية موعظة المودع أنها تجمع كل ما تشتد الحاجة إلى التذكير والنصح به، وهذا هو ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع حيث قال عليه الصلاة والسلام «**لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا**» لذلك جاءت هذه الخطبة مذكرة بأصول الدين وثوابته وما ينبغي التمسك به وما لا يجوز إتيانه واقترافه من الذنوب والمعاصي.

النصيحة من صميم الدين

*ونستنتج من هذا الحديث أن طلب النصيحة هو من صميم الدين وان التواصي بالحق والتواصي بالصبر هو ديدن المؤمنين وكيف لا والله تبارك وتعالى يقول ﴿**وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا**

بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ ويقول عليه الصلاة والسلام «**الدين النصيحة**» وقد ورد في الأثر «**لا خير فيكم إن لم تقولوها ولا خير فينا إن لم نسمعها**»، كما ورد في الحديث الشريف «**رحم الله امرأ أهدى إلينا عيوبنا**» والقيام بالنصح والتوجيه والإرشاد إلى الطريق القويم واجب على القادر عليه المكلف به من أهل الذكر، وكتمان النصيحة وكلمة الحق والخير هو كتمان للشهادة ومن كانت هذه حاله فانه آثم قلبه والعياذ بالله نسال الله السلامة.

تقوى الله أصل الخير

*طلب الصحابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يوصيهم فاستجاب لطلبهم وقال «**أوصيكم بتقوى الله**» وهي وصية جامعة لكل خير لأن من كانت حاله التقوى لا خوف عليه، فالله معه يرعاه ويحفظه ويكلؤه بعينه التي لا تنام. إن تقوى الله كما سبق بيانه في الأحاديث السابقة هي اجتناب ما نهى الله عنه وإتيان ما أمر به عباده، التقوى (**هي أن لا يجدك الله حيث نهاك وان لا يفقدك حيث أمرك**)، التقوى انتهاء وامتثال، التقوى هي أن يكون المحرك للمؤمن هو إيمانه المتغلغل في قلبه، التقوى ليست بالتمني ولا بالتحلي ولا هي بالشعارات والمظاهر إنها يقين في القلب لا يتزعزع وجوارح تعبر عمليا عن هذه التقوى، التقوى هي في كل مكان وفي كل آن وحين ﴿**قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لله رَبِّ العَالَمِينَ**﴾ التقوى هي توجيه الوجه للذي فطر السماوات والأرض سبحانه وتعالىَ فهو جل وعلا معنا وهو الذي ينظر إلينا وهو الذي يشهد علينا.

إن الوصية بالتقوى وصية جامعة مانعة يدخل تحتها كل ما يأتيه المسلم من التصرفات قال جل من قائل ﴿**وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللهَ**﴾.

الطاعة في المعروف

*ثم يمضي رسول الله صلى الله عليه وسلم موصيا فيقول «**والسمع والطاعة وان تأمر عليكم عبد فانه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا**» والأمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم للصحابة بالسمع والطاعة «إن تولى أمورهم عبد ليس حرا وهو لا تجوز امارته» إنما المقصود منه الطاعة في المعروف أي في ما لا يخالف أوامر الله ونواهيه وإلا فإن القاعدة هي لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق فإذا لم يكن الأمر فيما لا يغضب الله هنا يقع الامتثال نفيا للفتنة والاختلاف والنزاع الذي لا يأتي بخير ولا يتسبب إلا في الضرر، انه ارتكاب لأخف الضررين وهذا من خصوصيات الشريعة الإسلامية التي تعلن قواعدها «**لا ضرر ولا ضرار**».

وقد نبه رسول الله صلى الله عليه وسلم علة أمره بالسمع والطاعة لأنه سيأتي زمان وهذا من نبوءة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام يرى فيه من يعش ويبقى على قيد الحياة اختلافا كثيرا وهذا ما وقع فعلا بعد انتقاله عليه الصلاة والسلام إلى الرفيق الأعلى بدءا من يوم السقيفة ولكن الله سلم ثم لم يلبث الاختلاف أن برز وقاست منه الأمة ولا تزال من صفين وما بعدها، إنها فتن لا نجاة منها إلا بما نصح به رسول الله ﷺ أصحابه رضي الله عنهم ومن ورائهم أمته المحمدية حيث قال عليه الصلاة والسلام «**فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ**».

في اتباع السنة النجاة

* «**فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهدين، عضوا عليها بالنواجذ**».

وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم هي منهجه وطريقته التي ترك عليها الأمة «**تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك**» من رغب عنها واختار منهجا آخر غيرها فلا يمت لرسول الله صلى الله عليه وسلم «**تركت فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله وسنتي**» وقد قال الله لنا في كتابه العزيز ﴿**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ**﴾.

والأمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتمسك بسنة الخلفاء الراشدين المهديين أجمعت الأمة على أنهم الخلفاء الأربعة والحسن رضي الله عنهم «**أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن**» وهم الذين كانت في زمانهم الأمة مجتمعة غير متفرقة، سلكوا سبيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانوا رضي الله عنهم نجوما في سماء الأمة لم يغيروا ولم يبدلوا، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وما جاء به من هدي من عند الله هو المنهج والطريق الذي يسلكونه فغدت سنة وسيرة الخلفاء الراشدين المهديين تابعة وسائرة في المنهج الذي خطه بوحي الله سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام وهو منهج السلامة في العقيدة والصحة في الدين وفيه السلوك للصراط المستقيم وبه لا بسواه يرضى المولى سبحانه وتعالى على عباده المؤمنين ولذلك قال عليه الصلاة والسلام «**عضوا عليها بالنواجذ**» وهي الأنياب والأضراس تمسكا قويا بها. ثم يقول عليه الصلاة والسلام «**وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار**».

بين البدعة والسنة الحسنة:والبدعة والمحدثة هي كل زيادة في الدين الذي تم وكمل يوم انزل الله تبارك وتعالى **قوله ج**ل من قائل ﴿**اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا**﴾ وما كان دينا آنذاك فهو دين وما لم يكن دينا فلا يمكن لأحد أن يدخله في الدين انه رد على صاحبه.

ملف رمضان

عبادة الدعاء وارتباطها بليلة القدر

بقلم فضيلة الشيخ الدكتور أحمد الطيب شيخ الازهر

أن مما يرتبط بليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، ويتعلق بإشراقاتها ونفحاتها في باب العبادات – فالدعاة عبادة، والتجاء المسلم إلى ربه، وتضرعه إليه تعالى في كل أموره وشئونه، ما كان منها معتادا ميسورا، وما كان عسيرا معقدا، وقد يظن كثيرون أن «عبادة» الدعاء عبادة ثانوية، أو هي عبادة مأمور بها على سبيل الندب والاستحباب، وأن العبد مخير بين أدائها وتركها.. وكل ذلكم ظن خاطئ، مصدره الغفلة عن موارد الأمر والنهي في القرآن الكريم، والحقيقة هي: أن الدعاء عبادة مأمور بها في آيات كثيرة من آيات القرآن الكريم، أُمر بها النبي ﷺ كما أُمر بها المؤمنون سواء بسواء، من ذلك قوله تعالى مخاطبا نبيه ﷺ ﴿**وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ**﴾، ﴿**وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا**﴾، ﴿**وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ**﴾.

ومن ذلك أمره تعالى عباده المؤمنين بالدُّعاءِ في قولِه سُبحانه: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**﴾، وآياتٍ أُخرى كثيرةٍ تتَضمَّن أمرًا بالدُّعاءِ والتَّعَبُّدِ به، وبعضُها يُشير إلى صفة «الخشوع والضَّراعة» التي ينبغي أن يتَّصفَ بها الدَّاعي حال دُعائه، مثلَ قولِه تعالى: ﴿**ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً**﴾، ومعنى: «الخُفْيَة» هي ما خَفِي سِرًّا في نفس الدَّاعي، وذلك حتى لا يَتَسَرَّب إليه الرِّياء، ويُفسِد عليه عبادةً من أهمِّ العبادات، وقد

أثنى اللهُ تعالى على هذه الصِّفةِ في دُعاءِ نَبيِّه زكريَّا عليه السَّلام، في قولِه سُبحانه: ﴿**ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا * إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا**﴾، كما أثنى عليه النبي ﷺ في قولِه: «خَيْرُ الذِّكْرِ الْخَفِيُّ، وَخَيْرُ الرِّزْقِ مَا يَكْفِي».

واستحباب الخفاءِ في الذِّكْرِ وفي الدُّعاءِ لا يَعني ذمَّ الجَهْرِ بالدُّعاءِ أو النَّهيَ عنه، كيف! وكلُّ ما نُقِلَ لنا من أذْكَارِه -ﷺ- وأدعيتِه كان جَهْرًا، ولو أنَّه كان سِرًّا لما نُقِلَ إلينا شيءٌ منها، والذي تُرشِدُ إليه الآية الكريمة هو: النَّهيُ عن الجَهْرِ الذي يَخرُجُ بالدُّعاء عن حَدِّ الوقارِ والخشوعِ وأدبِ المناجاةِ، والمتَّفَقُ عليه بين العلماء هو: أنَّهم لا يَعرفون خِلافًا مُعتبَرًا في أنَّ السِّرَّ في أعمالِ البِرِّ كُلِّها –من غيرِ الفرائض- أعظمُ أَجْرًا من الجَهْرِ بها؛ لقولِه ﷺ: «إِنَّ أَفْضَلَ صَلَاةِ الْمَرْءِ فِي بَيْتِهِ، إِلَّا الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ»، وقولِه: «صَدَقَةُ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ»، وقولِه: «الجَاهِرُ بِالْقُرْآنِ، كَالجَاهِرِ بِالصَّدَقَةِ، والمُسِرّ بِالقُرْآنِ، كَالمُسِرِّ بِالصَّدَقَةِ»، ودليلُ ذلك -أيضًا- حديثُ أبي موسى، الذي يقولُ فيه: «كُنَّا مع النَّبيِّ ﷺ في سَفَرٍ، فَكُنَّا إذَا عَلَوْنَا كَبَّرْنَا، فَقالَ: اِرْبَعُوا علَى أَنْفُسِكُمْ»، [أي: ارْفُقوا بأنفسِكم واخفِضُوا أصواتَكم]، ثم قال ﷺ: «فَإِنَّكُمْ لا تَدْعُونَ أصَمَّ ولَا غَائِبًا، وإنَّما تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا قَرِيبًا».

والسُّنَّة المُطَهَّرة جاءت فأكَّدت على مركزيَّةِ «الدُّعاء» وأهميتِه القُصوى في حياةِ المسلم، وارتباطه بربِّه والتعلُّق بحَبْلِه المتين، وبَيَّنَتْ أنَّ الدعاء يَرْقَى إلى مستوى العبادةِ نفسها، وذلك في قولِه ﷺ: «إنَّ الدُّعاءَ هوَ العِبادةُ، ثمَّ قرأَ: ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾، وقوله في حديثٍ آخَر: «الدُّعاءُ مُخُّ العِبادةِ»، وتعليل ذلك -فيما يقول شُرَّاحُ الحديث– أنَّ مَنْ يَدْعو ربَّه فإنَّما يدعوه بعد أنْ ينقطعَ أَمَلُه في الخَلْقِ والمخلوقين، وهذا هو معنى الافتقارِ، وهو جَوْهَرُ العبادةِ التي لا عبادةَ فوقها، وهنا يقول ﷺ: «لَيسَ شَيءٌ أكرَمَ على اللهِ عزَّ وجلَّ مِنَ الدُّعاءِ»، ويقول صلوات الله وسلامه عليه: «سَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ، فإنَّ اللَّهَ -تعالى!- يُحِبُّ أنْ يُسْأَلَ مِن فَضْلِهِ، وأَفْضَلُ العِبادةِ انتظارُ الفَرَجِ».

ولأهميةِ الدُّعاءِ ومَنْزلتِه، فقد كان ﷺ يُعلِّمه أصحابه كما يُعلِّمُهم السُّورة من القُرآن، فقد وردَ أنَّه كانَ يُعلِّمُهُم التَّشَهُّدَ والقنوتَ، ودعاءَ الاستخارة ودُعاءَ الجنائز، وأدعيةً أخرى لا يتَّسِعُ لها المقام، منها على سبيلِ التمثيلِ فقط، قوله: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ

بكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ»، ومنها دُعاؤه حين يأوي إلى مَضْجَعِه: «بِاسْمِكَ رَبِّ وَضَعْتُ جَنْبِي وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ»، ومنها: «اللَّهمَّ إنِّي أعوذُ بك من الهمِّ والحزنِ، وأعوذُ بك من العجزِ والكسلِ، وأعوذُ بك من الجبنِ والبُخلِ، وأعوذُ بك من غلبةِ الدَّينِ وقهرِ الرِّجالِ»، ومنها: «اللَّهمَّ إني أعوذُ بك أن أَضِلَّ أو أُضلَّ، أو أَزِلَّ أو أُزَلَّ، أو أَظْلِمَ أو أُظْلَمَ ، أو أجهلَ أو يُجهلَ عليَّ» إلى دعواتٍ أُخرى يضيقُ عنها الوقت.

وان المدْهِش في شأنِ دعاء النبي ﷺ أنَّه كان يَستغرِق حياته اليوميَّة من ألفِها إلى يائِها، مهما اختلفَتْ بها الظُّروف، والأحوال والملابسات، وكأنَّه -صلواتُ الله وسلامه عليه- كان يتَّخِذُ من الدعاء وسيلةً يحتمي بها، ويُعوِّل عليها في شُئونِه كُلِّها، ويقفُ بها وُقوفًا طويلًا على بابِ اللهِ: نهاره وليله، يقظَــته ومَنامه، فإنَّه كانت تنامُ عيناه، ولا ينامُ قلبه، كما أخبر عن نفسِه، وكان يُوصي أصحابَه بالارتباطِ بالله -تعالى!- والتعلُّقِ به في كلِّ أمورِهم وحاجاتِهم وأشيائِهم مهما كانت صغيرةً أو تافهةً، وكان يقولُ لهم: «لِيسأَلْ أحَدُكم ربَّه حاجتَه كلَّها، حتَّى شِسْعَ نَعْلِه إذا انقطَع».

للدعاء المستجاب شروط، استَخلَصها العلماء من سيرتِه وتوجيهاتِه ﷺ في دعائه وأذكاره، منها ان الدَّاعي ينبغي أن يكون مَطعَمُه حلالًا، ومَلْبَسُه حلالًا، وأيضًا من شروطِه: ألَّا يَتعجَّلَ الإجابةَ؛ لحديثِ أبي هريرةَ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «يُسْتَجابُ لأحَدِكُمْ ما لَمْ يَعْجَلْ، يقولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي»، وأمَّا آدابُ الدعاءِ فمنها: أن يَستَنفِدَ العبدُ -مع الدُّعاء- كلَّ الأسبابِ اللازمة لنَيْلِ المطالب وبُلوغِ الآمال، والدليلُ على ذلك أنَّ القرآنَ الذي أمَرَ النَّبيَّ ﷺ بالدُّعاء، وأمَرَ به المؤمنين مِن ورائِه هو القرآنُ نَفْسُه الذي أمَرَهم بأن يُعِدُّوا العُدَّةَ للأمر قَدْرَ الطَّاقة، وقَدْرَ المستطاع ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ**﴾.

ومن آدابِ الدعاءِ أيضا أن يَتحرَّى الدَّاعي أوقاتَ الإجابةِ وأزمنتَها المباركة، ومنها: شهرُ رمضان وبخاصَّةٍ: العَشْرُ الأواخرُ مِنْهُ، وكذلك يَوْمُ عَرَفة، ويَوْمُ الجُمعة، والثُّلُثُ الأخير من الليل، وأوقاتُ السَّحَر، وكذلك من آدابِ الدُّعاء: استقبالُ القِبْلَةِ

وخفضُ الصَّوت؛ لقولِه تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾، والمراد بالصلاةِ في هذه الآية: الدُّعاءُ، كما أَخْبَرتْ بذلك عائشةُ أُمُّ المؤمنين -رضي الله عنها وأرضاها، ومِن هذه الآدابِ: رفعُ اليدين؛ لقولِه ﷺ في حديثِ سلمانَ الفارسيِّ: «إنَّ اللهَ حَيِيٌّ كريمٌ، يَستَحِي من عبدِه إذا رَفَعَ يديْهِ أن يرُدَّهُما صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ»، ومن الآداب أيضًا: أن يَستَفتِحَ الدَّاعي دُعاءَه بذِكرِ الله تعالى وبالصَّلاةِ على رسولِه ﷺ، ويختمَه بما بدَأَه به.

ومِمَّا يجدُر ذِكْره في مسألة «الدُّعاء»، هو ما يُنبِّه إليه العلماء من أنَّ هناك دعوات مُستجابة لا تُغْلَق في وَجْهِها أبواب السَّماء أبدًا، في مُقدِّمتها، بل على رأسِها: دعوةُ «المظلوم» قال العلماء: وإنْ كان المظلوم فاجرًا، بل قالوا: وإن كان كافرًا، ولا عجب؛ فدعوةُ المظلوم -كما وردَ في الحديثِ الشَّريف- تُحْمَل على الغمامِ وتُفتَحُ لها أبوابُ السَّماءِ، ويستقبلها المولى بقولِه: «وعزَّتي وجلالي لأنصرَنَّكِ ولَو بعدَ حينٍ»، ومن هذه الدَّعواتِ المستجابة دعوة الوالد على وَلَدِه الذي يَعُقُّه ويُؤذيه ويَظلِمه، ثم دعوةُ الصَّائمِ حين يُفطر، ودعوةُ الإمامِ العادل، ودعاء العبدِ لأخيه بظَهْرِ الغيب، والولَدِ لوالديه، ودعاء الذين يَذْكُرون الله كثيرًا، ودعوةُ المريضِ والمُبْتَلَى وكثيرِ التعرُّف على الله في الرَّخاءِ والشِّدَّة، وحاملِ القُرآن الكريم.

وإنَّها لَـمُناسبة طَيِّبَة ومباركة، وفي خواتيم هذا الشهرِ الكريم - أنْ نَستَعِينَ بالله على أنفُسِنا، ونبدأ بالتَّخَلُّصِ من مَظالم العباد وحُقوقِهم وحاجاتِهم، ونُبادر بردِّها إلى أصحابها، وأنْ نعفوَ عمَّن ظلَمَنا، ونَغفِرَ لـمَن أساءَ إلينا، وأن نَصِلَ أرحامَنا ونُحسِنَ إليهم، وأن نَتحمَّلَ أَذَى أُولي الأرحام وظُلْمَهم وقطيعتَهم، وأنْ نتجاوَزَ عنهم؛ احتسابًا ورغبةً فيما عند الله من ثوابٍ عظيم يَدَّخِرُه لكُلِّ مَن يُسارع إلى صِلَةِ رحمِه وأقربائِه، هذه الرَّحِمُ التي أَمَرَ الله بوصلِها، ووعدَ بوصْل مَنْ وَصلَها، وتوعَّدَ بقطعِ مَن قطَعَها، والخيرُ كلُّ الخير فيمَن يَغلِبُ نفسه، ويكظمُ غيظه، ويخفِض جناح الذُّل، ويذهب ليمُدَّ يَدَهُ لـمَن أساءَ إليه مِن أُولي الأرحام وذوي القُرْبَى.

الصوم فرض بالكتاب والسنّة والإجماع

بقلم: الشيخ صالح العَوْد

قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ البقرة (183)

روى ابن خزيمة عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر يوم من شعبان فقال: « **أيها الناس قد أظلّكم شهر عظيم مبارك: شهر فيه يوم خير من ألف شهر جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تطوّعا، من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدّى فريضة فيما سواه، ومن أدّى فريضة فيه كان من أدّى سبعين فريضة فيما سواه، وهو شهر الصّبر، والصّبر ثوابه الجنّة، وشهر المواساة، وشهر يزاد في رزق المؤمن فيه، من فطر فيه صائما كان مغفرة لذنوبه، وعتق رقبته من النّار وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء**».

وروي عنه عليه السلام أنه قال:»**شهر رمضان شهر كتب الله عليكم صيامه، وسننت لكم قيامه، فمن صامه وقامه إيمانا** (أي تصديقا بالأجر الموعود عليه)، **واحتسابا** (أي يحتسب أجره على الله تعالى ويدّخره في الآخرة، فلا يفعل ذلك رياء ولا سمعة)، **خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمّه**» ابن ماجة والبيهقي.

سمي هذا الشهر برمضان لأنه يرمض الذّنوب أي يحرقها، قال الإمام الرازي: «قيل إنهم لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالأزمنة التي وقعت فيها،

فوافق هذا الشهر أيام رمض الحرّ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنّة، وغلقت أبواب النّار، وصفدت الشّياطين**» متفق عليه.

فرض رمضان في السنة الثّانية من الهجرة (كالزكاة وصدقة الفطر) يوم الاثنين من شعبان لليلتين خلتا منه، وصام عليه السلام رمضان تسع سنين، فصام رمضانين كاملين ثلاثين وسبعة وتسعا وعشرين، وهو واجب بالكتاب والسنّة، وإجماع الأمّة، يكفر جاحده ومن أقر بوجوبه وامتنع عن أدائه يقتل حدّا كتارك الصلاة.

شروط الصوم

1) **ثبوت الشهر**: لقوله تعالى: «**فمن شهد منكم الشهر فليصمه**». وهو بإكمال شعبان ثلاثينيوما، أو برؤية عدلين أو جماعة مستفيضة. فمتى ثبت بشيء مما ذكر قبل الفجر وجب الإمساك، ومتى حصل عند طلوع الفجر ولو في آخر النهار وجب عليه الإمساك، وقضاء يوم بدله من غير كفارة، ومثل ذلك يثبت هلال شوال: فمتى ثبت وجب الإفطار وحرم الصوم. ويصح شرعا ثبوت الهلال بالسماع من الراديو.

حكم: إذا رأيأهل بلد الهلال لزم الحكم غيرهم من اهل البلدان إذ لا عبرة باختلاف المطالع عند مالك وأبي حنيفة فيلزم أهل المشرق برؤية أهل المغرب إذا ثبت عندهم رؤية هلال رمضان لما رواه البخاري ومسلم وأصحاب السنن: عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « **صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غمّ عليكم فأكملوا عدّة شعبان ثلاثين**» وهو خطاب للمسلمين كافّة فمتى ثبت عند أهل بلد وجب على أهل البلد الآخر، عملا بالحديث وتوحيدا للعمل بين كافّة المسلمين.

وإذا رأيت الهلال فقل: **اللهم أهلّه علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام، ربي وربك الله، هلال خير ورشد.**

2) **البلوغ**:وعلاماته: خروج المني، إنبات الشعر، تغير الصوت أو بلوغ السن 15 عاما، والحيض للإناث. ولا يندب الصوم للصغير بخلاف الصلاة ليتمرن على فعلها وتأنس بها نفسه، أما الصوم فلأنه نادر ويضعف الصغير.

3) **القدرة على الصوم**: فلا يجب على العاجز والمريض والشيخ الكبير، والمرضع إذا خافت على ولدها هلاكا، ومثلها الحامل، وكذا المكره على ترك الصوم، ويجب عليهم القضاء إلا الشيخ فيخرج فدية عما أفطره استحبابا.

4) **الإقامة**: فلا يجب على المسافر سفرا مباحا تقصر فيه لصلاة. والجالية التي

تعمل في فرنسة في حكم المقيم لا المسافر فليعلم، ومدة السفر دون أربعة أيام وهي ما لا تستلزم عشرين صلاة، أي غير يوم الدخول والخروج، وذلك أن رسول الله لم يأذن للمهاجرين في البقاء بمكة بعد تمام النسك أكثر من ثلاثة أيام.

5) **العقل**: فمن لا عقل له كالمجنون والمغمى عليه فلا يصح منهما. وإذا أغمي عليه يوما كاملا أو أكثر وجب عليه القضاء ومثله المجنون، والسكر بحرام ليلا، وإذا أفاق وسط النهار وجب عليه الإمساك.

6) **النقاء من دم الحيض والنفاس**: فلا يجب الصوم على حائض ولا نفساء ولا يصح منهما، فإن انقطع دم الحيض أو النفاس قبل الفجر ولو بلحظة لزمها الصوم، وكذا مع طلوع الفجر، لأن النية مع الطلوع صحيحة، أما بعده فلا يصحّ، وإذا شكت قبل الفجر أو بعده لزمها الإمساك وعليها القضاء. ويجبعلى الحائض والنفساء قضاء الصوم دون الصلاة رحمة بهما وتيسيرا عليهما: عن عائشة قالت: «**كنا نحيض على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة...**» البخاري ومسلم.

7) **حكم**: إذا طهرت الحائض أو النفساء قبل الفجر وجب عليها الإمساك ولو لم تغتسل إلا بعد الفجر، بل ولو لم تغتسل أصلا، لأن الطهارة ليست شرطا في صحة الصوم، بخلاف الصلاة والوطء فإنه يحرم على الرجل أن يقرب أهله الحائض (أي التي انقطع حيضها) إلا بعد الاغتسال لقول الحق: « **ولا تقربوهن حتى يطهرن**).

8) **الإسلام**: فلا يصح من كافر إلا بعد إسلامه، فإن أسلم أثناء الشهر صام بقيته ولا قضاء عليه فيما مضى من الأيام. وإن أسلم أثناء اليوم كف عن كل ما يفطر في بقيته وقضاه استحبابا.

فرائض الصوم

1. **النية**: وصفتها أن ينوي الإمساك عن الأكل والشرب والجماع موقنا بوجوبه محتسبا ثوابه عند الله، كل ذلك بالقلب من أول ليلة من رمضان. ووقتها من بعد الغروب إلى الفجر، وتكفي فيه نية واحدة في أوّل ليلة منه، ولا بأس بتجديدها كل ليلة، أما لو حصل للصائم عذر فأفطر أياما أثناء الشهر كالحائض مثلا فيجب تجديد النية إن زال المانع وعاد إلى الصوم، أما المسافر والمريض فلا بد من تبييتهما النية في كل ليلة ولو استمرا صائمين لجواز تفريقهما لأن التتابع ليس واجبا عليهما، ومشروعيتها ما رواه عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ

يقول: «**إنّما الأعمال بالنيات، وإنّما لكل امرئ ما نوى...**» الحديث والصوم من جملة الأعمال لما في الحديث القدسي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال الله عزّ وجلّ: «كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به». ومعنى إضافة الصوم لله مع أن كل العبادات له سبحانه لأنه لم يعبد بالصوم إلا الله لا غير وليس كذلك بقية العبادات كالسجود مثلا فإنه عبد به غير الله. وقيل لأن الصوم لا يدخله الرياء دون سائر العبادات، وعن حفصة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « **من لم يجمع الصيام قبل الفجر فلا صيام له**» أحمد وأصحاب السنن.

حكم: لو قطع النية أثناء النهار كأن قال: رفعت النية إن جاءني اليوم لحم، فسد صومه ووجب عليه القضاء وإن لم يأكل.

2. **الإمساك عن كل مفطر في نهار رمضان**: ولو لم يكن على سبيل التغذيكحصاة أو تراب أو دراهم مثلا، وأن يكون من منفذ مفتوح أصالة: كالفم كأن يأكل أو يشرب به، والأنف والأذن كأن صب فيهما دواء وفتحة الشرج بأن يجعل الحقنة المائية فيها، أما الاحليل إذا جعل فيه شيء فلا يفسد الصوم لعدم وصوله للأمعاء إذ المثانة لا منفذ لها سوى ما يخرج به البول، والعين إذا وضع فيها كحلا فتحلل، أو دواء فنزل إلى الجوف.

حكم:إذا اضطر لاستعمال الدواء في الأنف أو العين لشدّة ألم فيستعمل ويتمّ صومه ولا يعيد، وإن استعمل دون اضطرار ونزل إلى الحلق قضى – ومن صب في حلقه شيء وهو نائم فعليه القضاء فقط لعدم خطابه.

ومن أصبح مفطرا لقرب عهده بالإسلام، أو التبست الشهور على الأسير في دار الحرب فليس عليهما إلا القضاء.

تنبيه: الحقنة (الإبرة) التي تجعل في العضو لا تفطر ودواء الجرح بما يصل إلى الجوف لا يفطر.

3. **الكف عن الجماع وما في معناه كالاستمناء والمباشرة**: من نظرة أو قبلة أو لمس...الخ. **فالجماع**: هو مغيب حشفة البالغ في فرج بالغ أو دبره فقد فسد صومه سواء انزل أم لا، ومغيب حشفة البالغ في غير مطيق لا يفسد الصوم ألا مع الإنزال (أي خروج المني) أما الجماع في غير الفرج كالمفاخدة أو في الإبط أو القبلة فلا يفسد الصوم إلا مع الإنزال وكل ذلك بشرط الاختيار بخلاف المكره فلا شيء عليه،

ومع ما ذكر القضاء والكفارة في العمد دوم النسيان.

حكم: ولو أكره امرأة وجامعها في نهار رمضان لزمه كفارتان عنه وعنها، فإن أطاعته لزمتها كفارتها، ولو أكره امرأة على القبلة أو الملاعبة حتى أنزلا فعليهما القضاء والكفارة، وإنزالها هذا اختياري، أما الإنزال بنظر أو فكر فإن استدام فعليه القضاء والكفارة، وإن لم يستدم فالقضاء فقط.

الاستمناء:هو استدعاء خروجالمني بقصد اللذة باليد أو الفخذ أو غيرهما، وهو داء عضال يستحكم في الشباب ومن طال عهدهم عن الزواج غالبا، وفعله حرام سواء كان في رمضان أو غيره، لضرره على الصحة والعقل، وللتفصيل اقرأ: الاستقصاء لأدلة تحريم الاستمناء للغماري. الاستمناء للدكتور فخري، بحث في ردود على أباطيل للحامد.

وخروج المني بغير سبب كالاحتلام أو لمرض فلا شيء عليه لحديث النبي صلى الله عليه وسلم: «**لا يفطر من قاء ولا من احتلم ولا من احتجم**»-أبو داود- وأما المذي: فهو ماء أبيض رقيق يخرج عند إرادة الجماع أو التفكر فيه، فإن كان بمباشرة أو استدامة نظر أو فكر ففيه القضاء، وإن لم يستدم النظر والفكر فلا شيء عليه كأن خرج غلبة أي بمجرد وقوع نظره على امرأة من غير تأمل إلى محاسنها ومثل ذلك خروج المني، فلا يفسد الصوم ولا يوجب القضاء لخروجه خلاف العادة، ومن جامع في نهار رمضان جاهلا بحرمة الموجب الذي فعله يقضي ولا كفارة عليه كحديث عهد بالإسلام ظن أن الصوم لا يحرم الجماع فجامع.

حكم:من احتلم في رمضان لم يفسد صومه إجماعا، ومن أجنب ليلا ثم أصبح صائمافصومهصحيح ولا قضاء عليه عند الجمهور: عن عائشةرضي الله عنها قالت: **(كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدركه الفجر وهو جنب من أهله ثم يغتسل ويصوم)** متفق عليه. وما فعله عليه السلام تشريع للأمة وهو خلاف الأولى في حقنا، قال العلامة الحامد رحمه الله: مَنْ صام رمضان جنبا صح صومه ولا يعاقب على ترك الغسل ولكن لا ثواب له لقوله تعالى: « **إنما يتقبل الله من المتقين**».

تنبيه: يكره للشاب والقوي تقبيل امرأته في نهار رمضان.

القيء: إذا خرج غلبة ومن غير تسبب كجعل إصبعه في حلقه لا شيء عليه عند الجمهور إن لم يبتلع منه شيئا، ومن تقيأ عمدا وجب عليه القضاء دون الكفارة عند الجمهور فإن ابتلع منه شيئا بعد ظهوره على لسانه غلبة أو سهوا فعليه القضاء فقط،

وإن كان عمدا فالقضاء والكفارة لأنه كمن أكل عامدا، ومن شك في طلوع الفجر حرم عليه فإن أكل فعليه القضاء وجوبا، وإن شك في الغروب فعليه القضاء عند الجمهور، ومن طلع عليه الفجر وهو يجامع أو يأكل أو يشرب فإن كف وطرح ما في فمه أو نزع فرجه فلا قضاء عليه، أما إذا تمادى ولو لحظة فالقضاء والكفارة.

سنن الصوم

1) **السحور**[1]: لحديث أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**تسحروا فإن في السحور بركة**» متفق عليه. ومن بركته التقوي على الصوم، يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم: «**استعينوا بطعام السحور على الصيام، وبالقيلولة على القيام**»، وورد (**أنه لا حساب فيه ولا في فطور الصائم ولا في فضلة الضيف**)، ويحصل السحور بقليل الأكل وكثيره ولو بحبات زبيب أو بماء لخبر: «**تسحروا ولو بجرعة من ماء**» و«**تسحروا ولو بحبات زبيب**».

2) **تعجيل الفطر**: وذلك بعد تحقق غروب الشمس وقبل صلاة الفريضة بشيء يسير من تمر أو ماء: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال الله عز وجل: «**أحب عبادي إلي أعجلهم فطرا**» وفي السنن عن أنس رضي الله عنه: «**كان رسول الله يفطر قبل أن يصلي على رطبات، فإن لم يجد رطبات فتميرات، فإن لم تكن تميرات حسا حسوات من ماء**». والإفطار على التمر يرد ما زاغ من البصر.

تنبيه: وسنية التعجيل بالإفطار إذا كان خفيفا على نحو ما وصفنا أماإذا كان ألوانا وأصنافا فتقدم الصلاة لأن وقت المغرب ضيّق.

دعاء الإفطار: اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت فاغفرلي ما قدمت وما أخرت.

3) **تأخير السحور**: دون الشك في الفجر، بحيث يؤخره حتى يقع في المحظور كأن يبقى بينه وبين الفجر ثلث ساعة، ووقت السحور من نصف الليل الأخير، وكلما أخر كان أفضل: عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: **تسحرنا مع رسول الله ثم قمنا إلى الصلاة، قيل: كم كان بين الأذان والسحور؟ قال: خمسون آية**» متفق عليه.

4) **حفظ الجوارح**: لا يخفاك أن الصوم شرع لتهذيب النفس، وكسر شهوتي البطن والفرج، فإذا لم يقلع المسلم عن المعاصي واتباع الهوى فليعلم أنه لم يصم رمضان،

(1) بالضم اسم للفعل وبالفتح ما يؤكل في وقت السحر.

وإنما هو في صورة صائم جائع عطشان، روي في الحديث: «**كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش**» البيهقي. فاحفظ عليك نفسك يا مسلم واعبد ربك ولا تقرب ما نهاك الشرع عنه، ولا تصافح النساء فكم زلت فيها أقلام وأقوام: أخرج الزيعلي في نصب الراية عن النبي صلى الله عليه وسلم: « **من مس كف امرأة ليس منها بسبيل** (أي لا تحل) **وضع على كفه جمر يوم القيامة**» كابنة عمك وخالك وجارتك وزوجة أخيك وغيرهن، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقلإني صائم**» متفق عليه.

قال ابن أدهم رحمه الله: «صحبت أكثر رجال الله،وقد أَوْصَوْني بأن أعظ غيري بأربع خصال، إحداها: أن من يكثر الأكل لا يجد لذة العبادة، ومن ينام كثيرا لم ير في عمره بركة، ومن ينتظر رضا الناس لا ينتظر رضا الرب، ومن يكثر الكلام بفضول وغيبة لم يخرج من الدنيا على دين الإسلام».

5) **اعتكاف العشر الأواخر من رمضان**: قال العز بن عبد السلام سلطان العلماء: مقتضى الأحاديث أنه عليه السلام داوم على فعله فيكون سنة، عن عائشة (**أن النبي كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه اللّه، ثم اعتكف أزواجه من بعده**) متفق عليه. وهو من نوافل الخير المرغب فيها لما فيه من تزكية النفس، وتصفية القلب، والتشبه بالملائكة في استغراق الأوقات في العبادات، وحبس النفس عن الشهوات.

ويشترط للاعتكاف: المسجد عند جمهور العلماء (لا مسجد البيوت) ولا يخرج من معتكفه إلا لقضاء حاجة أو شراء ما لا بد منه كأكل مثلا، أو لمرض أو حيض.

ويستحب أن يدخل معتكفه قبل غروب الشمس من ليلة اليوم الذي يبدأ فيه: ويبقى فيه حتى يخرج لصلاة العيد، وليعلم أن أقل الاعتكاف المستحب عند مالك عشرة أيام لأنه صلى الله عليه وسلم لم ينقص عنها كما في المدونة والرسالة، وقيل: أقله يوم وليلة، وهو ضعيف والمعتمد: الأول، فإن كان أقل من ذلك فيسمى جوارا، ويسميه الشافعية اعتكافا مع الاتفاق بينهم على حصول الثواب فيه.

ومن شروط الاعتكاف: **النية**، و**الصوم** لما رواه الحاكم أن رسول الله قال: «**لا اعتكاف إلا بصيام**» قال مالك في الموطأ: وعلى ذلك الأمر عندنا بالمدينة، **والاشتغال بالعبادة**، وعند ابن القاسم: يجوز له شهود الجنائز وعيادة المرضى ودراسة العلم خلافا لابن وهب. ويفسد الاعتكاف بالجماع اتفاقا، والمباشرة وإن لم ينزل، والردة والسكر، والخروج من معتكفه لغير عذر، والوقوع في كبيرة كالقذف ونحوه، ويصح الاعتكاف من المرأة بإذن زوجها، والصبي المميز.

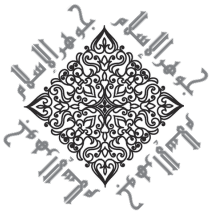

رمضان شهر السلام

بقلم المفكر الهندي وحيد الدين خان رحمه الله

تؤيد جماعة من الناس فكرة أن رمضان هو شهر الفرقان ويعني به أنه شهر النصر، وطبقاً لهذا المنهج في التفكير فإنّ النصر واجب التحقق أذا تم أطلاق الجهاد بمعني «القتال» خلال شهر رمضان. ولهذا السبب تم شن عدة حروب في السنوات القليلة الماضية، ولقد تم شن بعض تلك الحروب ضد أعداء مزعومين خلال شهر رمضان، ولكن مثل تلك الحروب كانت تنتهي دائماً بفشل وخسارة لمن شن تلك الحروب (المعتدين) أنفسهم. ورغم هذه الحقيقة الجلية فأصحاب ذلك الرأي لا يغيرون أراءهم أو يعيدوا النظر والتفكير في مواقفهم، بل انه لمن الغريب استمراراهم في الحديث عن شن الحرب.

والان يبرز السؤال التالي، **ما هو الأساس والمصدر الذي قام عليه القول بأن شهر رمضان يعد شهر النصر(العسكري)؟**

في الحقيقة ان معركة بدر التي وقعت في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم تمت في شهر رمضان، في السنة الثانية للهجرة، في اليوم السابع عشر من شهر رمضان، وقد خرج النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من هذه الحرب منتصرين، وذلك هو السبب في اعتبار شهر رمضان شهر النصر.

ولكن ذلك الاستدلال لا أساس له على الأطلاق، لم يكن وراء ظهور معركة بدر موضوع خيار من جانب نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم، ومعركة بدر كانت حربا دفاعية، وجرى القتال في بدر في شهر رمضان فقط لأنّ العدو كان قد توجه بقواته تجاه المدينة مروراً بمكان يسمي بدر لبلوغ المدينة في هذا الشهر، وقد كان عملا أحادي الجانب من الطرف الآخر (الأعداء)، فنتيجة للعدوان المسلح جاءت واقعة بدر كحرب دفاعية من طرف المسلمين.

واحدى الأدلة على ذلك: أنّه في بداية التاريخ الإسلامي شنت حروب أخري مثل معركة أحد وحنين، ولم يتم أطلاق اي من تلك الحروب في شهر رمضان.

اذا كان إطلاق حرب بدر في شهر رمضان من اختيار رسول الإسلام لكان يتوجب اطلاق الحروب الأخرى المذكورة آنفاً في شهر رمضان، وهذا دليل واضح أنه لا علاقة ابداً بين شهر رمضان ومسألة شن الحرب والقتال.

الحقيقة ان الحرب لم تكن أبداً خياراً للمؤمنين، فالحرب في الإسلام تشن فقط من أجل الدفاع ضد العدوان المسلح للأعداء، وانه لمن الغني على التوضيح أن المعتدي هو من يحدد زمان وموعد المعركة حسب اختياره، ولا يترك للمدافع أي خيار ممكن. طبقاً للحديث، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تتمنوا لقاء العدو واسالوا الله العافية)، صحيح البخاري.

وهذا التوجيه النبوي يخبرنا بأن المبدأ الإسلامي الأساسي لمسألة الحرب، أن السلم والسلام هو القاعدة في الإسلام، والحرب تعد مجرد استثناء، فالحرب في الإسلام مسألة اضطرارية أكثر من كونها مسألة اختيار، ان الظروف المواتية لشن الحرب لا يسهم في أيجادها المؤمنون، بل ان الطرف الآخر-في حقيقة الأمر-هو المسؤول عن دفع المؤمنين دفعاً لخوض الحرب دفاعاً.

ان شهر رمضان يسمي شهر الصبر، انه شهر التدريب على السيطرة على النفس وشهر قيام المرء بكبح غرائزه، وهو شهر منع النفس من سيطرة الانفعال والغضب مهما واجهت من استفزاز، ان رمضان شهر الارتقاء بالجانب الروحي للمرء عبر تحمل آلآم الجوع والعطش، انه شهر السعي للقرب من الله وزيادة ذكره عن طريق الدعاء والصلاة وقراءة القرآن، ان ذلك القرب من الله تعالى يكون ممكنا تحقيقه فقط

عندما يبتعد المرء بنفسه من العالم المادي ويجعل نفسه قريباً من العالم الروحي الإلهي.

انّ الأخذ في الاعتبار لكل تلك الحقائق يكون من المناسب جداً القول إن شهر رمضان هو شهر السلام بدل القول بأنه شهر شن الحرب.

ان شهر رمضان يهدف لإضعاف الطبيعية الداخلية للفرد، أكثر من كونه مناسبة لانخراط المرء في صراعات وخلافات خارجية.

ان شهر رمضان شرع من أجل استغراق المرء في التفكير في عظمة الله تعالى، وليس لكي يورط المرء نفسه في التفكير في هذه الدنيا.

جاء في الحديث النبوي أن الرسول صلى الله عليه وسلم ذات مرة عندما شاهد هلال رمضان قال: (**اللهم أهله علينا باليمن والإيمان والسلامة**) (الترمذي –الدارمي –مسند احمد).

هذا الحديث يبين المشاعر والأحاسيس التي استقبل بها نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم شهر رمضان، تلك الكلمات النبوية تقدم دليلا أكيدا على أنه لا صلة لشهر رمضان بإعمال الحرب والقتال، والأقرب أن كلمات الحديث تلك تهدف إلى بناء مجتمع يتعزز فيه السلام والنوايا الحسنة والطيبة.

عندما امر القرآن بالصيام في شهر رمضان، جاء فيه: ﴿**لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾، (البقرة183).ووصف الآية يشير إلى أنّ الصيام يقصد منه تمكين الناس من اتباع الصراط المستقيم وتدريبهم على بلوغ حياة الاستقامة.

أن التقوى تجد شرحا لها في حديث عمل الفاروق الخليفة الثاني، رضي الله عنه عندما سأل أبي بن كعب، أحد كبار الصحابة، عن التقوى، «فقال له: **أما سلكت طريقاً ذا شوك. فقال: بلى. قال: فما عملت؟ قال شمرت واجتهدت. قال: فذاك التقوى.**» وذلك الحذر يسمي التقوى. (القرطبي ص 162).

ان شهر رمضان هو شهر التقوى، وعلى ضوء قول الصحابي يبدو من المناسب بشكل تام القول إن شهر رمضان هو الشهر الذي يحمي فيه المرء نفسه من الأشواك. وفي مثل هذه الحالة، كما يبدو من الغريب تصور شهر رمضان بأنّه شهر يلقى فيه المرء بنفسه وسط الأشواك.

زاد الصائم إلى مذهب الإمام مالك

جمع أ.جمعه عكرمي الدرويش

تعريف الصوم	لـغـة	الامساك والامتناع والكف عن شيء ما.
	شرعا	الامساك عن شهوتي البطن والفرج من طلوع الفجر الى غروب الشمس بنية التقرب الى الله تعالى

1 - أنواع الصوم

صوم الواجب	صوم مستحب	صوم مكروه	صوم محرم
- صوم رمضان - صوم التذر - الكفارة - قضاء الواجب	- يوم عرفة لغير الحاج - صوم شعبان ورجب -التسع الأولى من ذي الحجة - صوم شهر محرم والأولى صوم عاشوراء - الاثنين والخميس. - الأيام البيض (مالم ينوي الصائم وجوبهن)	- صوم الدهر - يوم رابع النحر (عيد الاضحى) - الشك احتياطا - تحديد الأيام البيض صوم الضيف بغير اذن المضيف - اظهار الست من شوال	- يوما العيد (الاضحى والفطر) - المرأة دون إذن زوجها المحتاج للجماع - اليوم الثاني والثالث بعد الإضحى

2- أركان الصوم:

أ- النية يشترط ايقاعها ليلا في الفرض والنفل، **ب- الامساك:** عن المفتراط والجماع من طلوع الفجر الى الغروب

3- شروط الصوم

شروط الوجوب	شروط الصحة	شروط الوجوب والصحة معا
البلوغ+القدرة+الاقامة	الإسلام+الزمن القابل للصوم	العقل+دخول الوقت+النقاء من دم الحيض والنفاس للمرأة

4 - حكم ما يفعل أثناء الصوم

مستحب	مباح	مكروه	محرم
- السحور وتأخيره - تعجيل الفطر قبل الصلاة - الفطر على التمر أو رطب وترا أو الماء - الكف عن فضول الاقوال والأفعال	- السواك - الإصباح على جنابة - المضمضة لشدة العطش والحر - الفطر عند الخوف من الهلاك - فطر الشيخ الكبير(الاطعام عن كل يوم)	- التطيب وشم الطيب - الحجامة للمريض - تذوق الطعام دون ضرورة - مقدمات الجماع ان امن السلامة - المبالغة في المضمضة والاستنشاق -كثرة النوم أثناء النهار والسهر في لهو الليل	- الغيبة ونحوها - قبلة يترتب عليها انزال - كل مفسد للصوم - تأخر القضاء إلى رمضان آخر

5- دخول رمضان	6- خروج رمضان
- رؤية الهلال من جماعة مستفيضة أو عدلين - رؤية عدل لمن لا اعتناء لهم بالهلال. - تمام (30) يوما من شهر شعبان.	- رؤية هلال شوال من جماعة مستفيضة أو عدلين - إتمام (30) يوما من شهر رمضان

7- أنواع المفطرين

من عليه القضاء فقط	من عليه القضاء والاطعام	من عليه الاطعام فقط استحبابا	من عليه القضاء والكفارة
المسافر/ المريض الجاهل/ المكره الناسي/ المتأول بتأويل قريب/ الحائض/ النفساء/ المرضع إن خافت على نفسها/ الحامل	- المرضع ان خافت على الولد - من أحخر القضاء بغير عذر	الهرم والمريض الذي لايرجى برءه **الإطعام: مد من غالب قوت أهل البلد**	العامد اختيارا بلا تأويل قريب ولاجهل **الكفارة على التخيير** - إطعام (60) مسكينا (الأفضل) - صيام شهرين متتابعين - عتق رقبة

8- مفسدات الصوم

معنوية لا تبطل الصوم ولكن تنقص الأجر	مادية تبطل الصوم وتوجب القضا أو الكفارة	
- قول الزور - الرفت -الفسوق	توجب القضاء فقط	توجب القضاء والكفارة
	- الفطر ناسيا (يلقي ما في فمه يواصل الصوم) - المرض - السفر المباح -الفطر في صيام التطوع لغير عذر عمدا -التأويل القريب كمن انقطع حيضها قبل الفجر ولم تغتسل الا بعده فظنت بطلان صومها فأفطرت أو كمن أفطر لأنه ظن فساد صومه عندما أصبح جنبا	- تعمد الأكل والشرب - تعمد إخراج المني ولو بفكر - تعمد رفع النية نهارا، - الجماع (نهارا)، التقيؤ عمدا مع ارجاع شيئ منه الى الجوف، - تعمد استنشاق البخور أو وصول البخار (لغير ذي مهنة) - التأويل البعيد: من رأى الهلال فلم يقبل الحاكم شهادته فظن إباحة الفطر فأفطر.

المسألة	الحكم
– ما حكم صوم الشيخ الهرم المسن	– يفطر ويطعم استحبابا
– المريض مرضا مزمنا يضره الصوم (كمريض السكري درجة واحد الذي يستعمل حقن الانسولين)	– يفطر ويطعم استحبابا
– مريض السكري درجة اثنين الذي يتعاطى حبات الانسولين (عند السحور)	– يصوم ولا يفطر
– المرأة الحامل التي خافت على حملها	– تفطر وتقضي
– المرأة الحامل التي خافت على نفسها	– تفطر وتقضي
– المرضع اذا خافت على رضيعها	– تفطر وتقضي وتفدي
– الاستحمام في البحر ام الماء دون دخول الماء للمعدة	– جائز
– المسافر سفرا مباحاوأن ينوي الفطر ويسافر قبل الفجر مع رفع النية عند مغادرة العمران	– يفطر ويقضي (ويستحب له الصوم)
– تذوق الطعام عند الضرورة	– جائز
– من احتلم اثناء النوم	– يصوم ويغتسل للصلاة
– الحائض اذا انقطع عنها الدم قبل طلوع الفجر ولم تغتسل	– تنوي وتصوم وتغتسل للصلاة
– المريض مرضا غير مزمن يشق معه الصوم	– يفطر ويقضي
– النفساء اذا انقطع عنها الدم قبل طلوع الفجر ولم تغتسل	– تنوي وتصوم وتغتسل للصلاة
– الاصباح على جنابة بعد طلوع الفجر	– يصوم ويغتسل للصلاة
– من غلبه القيئ نهارا دون ابتلاع شيئ منه	– صح صومه
– من غلبه القيئ نهارا وابتلع منه شيئا غلبة	– يواصل صومه ويقضي
– من استقاء نهارا وتعمد ابتلاع شيئ منه	– القضاء والكفارة مع الاثم
– الحقنة (الزريقة) في كل البدن	– صح صومه
– حقن التغذية (سيروم جليكوز)	– عليه القضاء (وقيل لا يقضي)
– السيروم المختلط بالدواء الغير مغذي بأمر من الطبيب الثقة	– لا يفطر
– دخول غبار الطريق غلبة	– صح صومه

المسألة	الحكم
– من نامت ورأت دم الحيض قبل النوم واستيقظت بعد الفجر وقد انقطع عنها	– تصوم وتقضي
– من كان يعمل في المطاحن أو العطور	– صح صومه
– اجتياز الامتحانات (باكالوريا أو غيرها)	– يجب الصوم
– تعمد الجماع في نهار رمضان	– القضاء والكفارة مع الإثم
– من اكتحل ليلا ووجد شيئا من طعمه	– يواصل صومه ويقضي
– القطرة في العينين مع وصول شيئ للحلق	– يواصل صومه ويقضي
– من يدهن ليلا بالزيت ووجد شيئا من طعمته	– يواصل صومه ويقضي
– القطرة في العين مع عدم وصول شيئ للحلق	– صح صومه
– القطرة في الأذن مع وصول شيئ للحلق	– يواصل صومه ويقضي
– القطرة في الاذن مع عدم وصول شيئ للحلق	– صح صومه
– من استنشق ومضمض في الوضوء وابتلع شيئا غلبة	– يواصل صومه ويقضي
– من تعمد ايصال الماء في المضمضة	– القضاء والكفارة مع الإثم
– من تعمد ايصال الماء في الاستنشاق	– القضاء والكفارة مع الإثم
– مقدمات الجماع (قبلة ولمس..) مع أمن السلامة من انزال المني اثناء الصوم	– مكروه وصح صومه
– من كان مريضا وأمره الطبيب الثقة بالإفطار خشية تعكر صحته	– يحرم عليه الصوم مع الإثم ان صام
– استعمال العطور ومواد الزينة	– لا يفطر
– استعمال معجون الاسنان	– لا يفطر
– لبس الحلي	– لا يفطر
– صبغ الأضافر	– لا تفطر ويجب ازالته للوضوء
– من وجد شيئا في حلقه من عطور، مواد زينة، معجون أسنان..	– يواصل صومه ويقضي
– هل يجب انتظار تمام آذان صلاة المغرب كاملا للافطار	– يفطر بمجرد سماع الله أكبر
– متى يجوز الافطار للصائم	– عندما يتحقق من دخول المغرب

المسألة	الحكم
– لمن تدفع زكاة الفطر	– للمسلم، الفقير الذي لاتجب نفقته يستحب للأقارب (الاخوة، الأعمام، الأخوال)
– هل السحور واجب على الصائم	– مستحب
– من كانت حائضا	– تفطر وتقضي
– من أدركها رمضان ولم تقض أيام الفطر في رمضان سابق	– تقضي وتطعم
– من أفطر مكرها أو غصبا	– لا اثم عليه ويقضي
– استعمال التحاميل الشمعية (مفتول)	– لا يفسد الصوم
– احتلام المرأة نهار رمضان	– صح صومها مع وجوب الغسل للصلاة
– ما حكم صوم من لا يصل في رمضان	– صح صومه واثم لعدم الصلاة
– ما هو العمر المحدد لوجوب الصوم	– ظهور علامات البلوغ وأقصى عمر 18 سنة قمرية
– من أدركه الفجر وهو يأكل وابتلع متأولا	– عليه القضاء
– من أدركه الفجر وهو يأكل وابتلع متعمدا	– عليه القضاء مع الكفارة
– ما هو الوقت المحدد لنهاية الامساك	– حسب الجهات ويحددبالامساكيات من المصالح المختصة
– من توفي احد والديه قبل قضاء صيامه بامر من طبيب ثقة	– يستحب الاطعام على كل يوم وهذا من البر بالوالدين
– من واصل تتابع نومه لايام مع التاكد حضوره العقلي	– صح صومه
– ما حكم من سب الدين أوسب الجلالة أو ارتد	– يترتب عليه: خروج من ربقة الاسلام تحرم عليه زوجته يفسد صومه ينتقض وضوءه *يجب عليه: تجديد اسلامه يالشهادتين يفارق زوجته يقضي يومه يجدد وضوءه للصلاة

المسألة	الحكم
– هل قضاء رمضان يجب فيه التتابع	– لا يجب فيه التتابع
– من أفطر متعمدا شهر رمضان كاملا	– عليه القضاء والكفارة على كل يوم مع الاثم
– ما هو مقدار الإطعام	– مد من غالب قوت أهل البلد ربع زكاة الفطر
– كيف تكون الكفارة	– تكون على التخيير بين: * اطعام ستين مسكينا ** صوم شهرين متتابعين *** عتق رقبة (وقد ألغي)
– من أرغم زوجته على الجماع	– عليه القضاء والكفارة عليه وعلى زوجته مع الإثم، وعليها القضاء فقط
– من ابتلع جمادا غير الطعام كالحصى أو قطعة نقود	– ناسيا لاشيئ عليه – القضاء للمتعمد عبثا
– من استعمل دواء الاسنان نهارا لألم ولم يبلع شيئا	– صح صومه
– من استعمل دواء الاسنان نهارا لألم وبلع شيئا غلبة أو وجد شيئا في حلقه	– يواصل صومه ويقضي
– من استعمل الدواء وبلع منه شيئا متعمدا	– القضاء والكفارة مع الاثم
– ما حكم الحجامة والفصد (الحجامة في الجسم دون الرأس) للصائم الصحيح إذا تيقن السلامة	– جائز
– ما حكم الحجامة والفصد للصائم الصحيح إذا شك في السلامة من الضرر	– مكروه
– ما حكم الحجامة والفصد للصائم الصحيح إذا تيقن من حصول الضرر	– تحرم في حقه الحجامة مع الإثم
– ما حكم الحجامة والفصد للمريض مع اعتقاد السلامة	– مكروه
– ما حكم الحجامة والفصد للمريض الذي تيقن الضرر	– تحرم في حقة الحجامة مع الإثم

المسألة	الحكم
– حكم التدخين والنفة في يوم رمضان	– القضاء مع الكفارة وعليه اثم
– ماذا يفعل من دخن أحد بالقرب منه وهو صائم	– يبتعد عنه وجوبا
– حكم من استنشق دخانا وأحد بجانبه وتمتع بالرائحة ووجد ذلك في حلقه	– يقضي وعليه إثم
– حكم استنشاق الروائح والغبار لأصحاب الصنائع	– جائز في حقهم ولا قضاء عليهم
– حكم استنشاق الدخان،البخور، بخار الطعام	– القضاء إذا وصلت للحلق
– من تذوق أكلا أو شربا في يوم رمضان	– مكروه لغير الضرورة
– من تذوق أكلا أو شربا في يوم رمضان وابتلع شيئا غلبة أو نسيانا	– يواصل صومه ويقضي
– من تذوق أكلا أو شربا في يوم رمضان وابتلع شيئا منه عمدا	– القضاء مع الكفارة وعليه اثم
– حكم من ابتلع ما بقي باسنانه من طعام	– لا يفطر
– حكم من ابتلع البلغم والريق	– لا يفطر
– حكم دخول الذباب والبعوض في الحلق	– لا يفطر
– من تحقق وجود المشقة مع احتياجه للعمل	– يصبح صائما ولا يفطر الا عند تحقق المشقة فعليا
– من كان يعمل وتحقق وجود المشقة مع الضرر مع احتياجه للعمل	– وجب في حقه الفطر
– ما حكم من أغمي عليه بعد الفجر أقل من نصف اليوم أو نصفه	– يواصل صومه وصح
– من كان غير محتاج للعمل وأفطر لحصول المشقة أثناء العمل	– عليه القضاء والكفارة مع الإثم
– من أغمي عليه ليلا وتواصل بعد الفجر	– عليه القضاء

المسألة	الحكم
– من ترتب عليه قضاء ايام من رمضان وادركه رمضان الموالي ولم يقض بلا عذر	– يقضي مع إطعام
– من أغمي عليه أكثر من نصف اليوم	– عليه القضاء
– من كان في سفر معصية والعياذ بالله	– يحرم عليه الفطر
– من كان في سفر معصية وأفطر	– عليه القضاء والكفارة مع الاثم
– ما حكم من سافر وصام	– مستحب في حقه الصوم بلا ضرر
– من كان يقضي يوما من أيام رمضان وتحقق من الضرر	– يعيد قضاءه بلا كفارة
– من كان يقضي اليوم الثاني والثالث لعيد الفطر	– مكروه ما لم يكن قضاءا
– متى يستحب اخراج زكاة الفطر	– بعد فجر يوم العيد وقبل صلاة العيد
– ما مقدار زكاة الفطر	– صاع من غالب قوت أهل البلاد ويبقى تحديده من سماحة مفتي الجمهورية
– ماحكم من اخرجها بعد وقتها	– وجب عليه قضاءها ولو بعد سنوات
– هل يجوز اخراجها قبل ذلك	– يجوز اخراجها قبل يومين أو ثلاثة
– من قطع صومه لمرض أو داء	– يجب عليه اعادة نية الصوم
– هل تكفي نية الصوم أول رمضان للشهر كاملا	– نعم تجزئ
– اذا بلغ الصبي أو الفتاة نهار مضان ولم يبيت نية الصوم قبل الفجر	– يواصل فطره لا شيئ عليه
– اذا بيت الصبي أو الفتاة نية الصوم قبل الفجر وظهرت علامات البلوغ نهارا وهو صائم	– وجبت عليه مواصلة الصيام
– من أدركه الفجر وهو يأكل وألقى ما في فمه	– لاشيئ عليه
– من أدركه الفجر وهو يأكل وابتلع ما في فمه	– عليه القضاء

المسألة	الحكم
– ما حكم من تجشأ (التقريع) غاز ويسمى فقها القلس غلبة	– لا يفسد الصوم
– ما حكم من انقطع صومه لمرض او سفر	– يجب عليه تجديد النية لتتابع صوم بقية شهر رمضان
– متى يدخل وقت الإفطار	– عندما يتحقق من دخول وقت المغرب
– ما حكم من شك في دخول وقت المغرب والفجر وأكل الطعام أوشرب الماء أو جامع	– ان صح شكه لا شيئ عليه -- ان أخطأ في شكه دون عمد أو بقي على شكه ولم يتيقن فعليه القضاء فقط ---وان اكل متيقنا ثم طرأ عليه الشك فعليه القضاء
– كيف يتحقق ثبوت دخول شهر رمضان	– اتمام ثلاثين يوما من شهر شعبان – رؤية الهلال بعد مغيب شمس يوم التاسع والعشرين من شهر شعبان بشهادة عدلين بالرؤية المستفيضة – رؤية الهلال في نفسه هو ولو كان فاسقا – يكفي رؤية المسلم الواحد في البلد الذي لا يهتم برؤية الهلال – الاجتهاد للسجين أو المقيد

رمضان يطلّ علينا اليوم وسيغادرنا شاهدا لنا او علينا

بقلم الاستاذ ابراهيم الربو

طرابلس ـ ليبيا

شهر رمضان على الأبواب ، وقد تكون أخي القاريء تعيش أيامه وأنت تقرأ هذه الكلمات ،، لا أريد أن أشيد بهذه المناسبة وموقعها في الدين ، وتبيان أفضالها ومتطلبات العبادة فيها ، فذلك أمر لازم الفائدة حسب تعبير البلاغيين ، وهو موضوع اهتمام عشرات الخطب والبرامج المرئية والمسموعة التي تتكرر في كل عام ويتصدى للحديث من خلالها عشرات الفقهاء والعلماء والوعاظ ، بارك الله فيهم جميعا وأجرى مزيداً من الفضل على أيديهم ،، أما أنا فسآخدكم إلى جانب آخر ليس لصيقا مباشرة بموقع رمضان في الشريعة الإسلامية ولا بتبيان قواعد الصيام وما يتعلق به من أحكام ، ولا بصلة هذا الشهر الكريم بكتاب الله الذي يمثل الخطوط العريضة التي تنظم حياة المجتمع وتنسج خيوط علاقاته ،، نعم سآخذكم إلى حد ما بعيداً عن كل ذلك لأمرين مهمين أولاهما يتمثل في أن أي قول أقوله حول هذه المناسبة وفضلها سيكون كلاما معاداً مكرورا سيقرأه الناس ويسمعونه مئات المرات ومن خلال عشرات المنابر الإعلامية والدعوية ، وثانيهما أن شهر رمضان يطل علينا هذا العام والأمة العربية والإسلامية تعيش أحداثاً مؤلمة وتداعيات خطيرة تستحق منا أن نقف حيالها وأن نستثمر هذه المناسبة الدينية في الحديث عن أبعاد تلك الأحداث ومظاهر هاتيك التداعيات ،،

جرت العادة أن يقترن هذا الشهر عند المسلمين بظاهرتين أساسيتين ظاهرة التعبد في صوره المختلفة وهو أمر يليق بمقام هذا الشهر الكريم ، وظاهرة تنوع الموائد والإفراط في الملذات وهو أمر لا أريد أن أقول بأنه مستهجن بل يجب أن يُؤطر بواقع أن شهر رمضان هو شهر عبادة وليس شهر إفراط في المأكل والمشرب حتى وإن كان ذلك مباحاً من مال حلال ، والأمر في مجمله يظل محكوما بكراهية التبذير والتباهي ،،، أعود للحديث عما تمر به الأمة هذه الأيام ، ولاشك أن مأساة إخوتنا في غزة وكامل فلسطين تتصدر آلامنا وتضاعف أحزاننا ، وإذا كانت مشاهد القتل والتدمير والإبادة هناك تقض مضاجع الإنسانية بكاملها فما بالك بنا نحن المسلمين الذين للأسف سرنا على خطا أنظمتنا الرسمية فوقفنا نتفرج على إخوتنا وهم يُبادون كالقوارض ومَن ينجو منهم من الموت تتلقفه مخالب الجوع والعطش والمرض في خيام متهالكة تعبث بها أجواء مناخية بالغة القسوة ، فكيف سيكون وقع هذا الشهر عليهم ولم يعد لديهم ما يقتاتون به بعد أن طحنوا حتى علف الحيوان ليسدوا به رمق أطفالهم الذين نجوا من حمم الموت الصهيونية ولو إلى حين ،،؟!! إن أضعف الإيمان خلال هذا الشهر الكريم أن تقوم المرجعيات الدينية ورموزها وفي مقدمتها الأزهر الشريف ومَن على شاكلته من المرجعيات الإسلامية في مختلف أنحاء العالم الإسلامي بالضغط عل الأنظمة الرسمية العربية وخاصة دول الجوار الفلسطيني بأن تفتح حدودها مع قطاع غزة لتزويد سكانه المحاصرين منذ سبعة عشر عاماً بمتطلبات الحياة خلال هذا الشهر الكريم ، إن أبرز الملامح الاجتماعية للإسلام هو التكافل والتراحم وتفريج الكربات عن المكروبين ، ولا اعتقد أن هناك كربةً أقسى من كُرَبِ إخواننا في غزة وهم يتضورون جوعاً ونحن نزيّن موائدنا بما لذ وطاب من الطعام والشراب ،، لقد تعلمنا منذ نعومة أظفارنا بأن المسلمين كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحُمى ، وها هو عضوٌ من أعضاء ذلك الجسد لا يشكو فقط من سهر وحمى بل يشكو من إبادة جماعية ، اما الناجون من الموت فيعيشون هذا الشهر الفضيل في مسغبة وعوز ورعب لم يَرَ العالم في تاريخه المعاصر لذلك مثيلاً ،،!!

جميل أن نحيي أيام هذا الشهر ولياليه في طاعات وعبادات وأن نتقرب إلى الله خلاله بصيام النهار وقيام الليل ، ولكن يجب علينا أن نعيش مأساة إخواننا في غزة وكامل فلسطين وأن نعتبر نصرتهم بكل الطرق فرض عين على كل منا وأن نسعى –

على الأقل – لتمكينهم من آداء شعائرهم وفي مقدمتها آداء الصلوات في المسجد الأقصى ،، لقد تعالتْ أصوات المتطرفين الصهاينة بمنع المصلين من دخول المسجد الأقصى خلال هذا الشهر ، أما الذين أقل تطرفا منهم فينادون بالسماح فقط لمن هم فوق السبعين عاماً لآداء الصلوات في الأقصى الذي يدنسه المستوطنون الإسرائيليون يوميا بحماية جنود الاحتلال ،،، ويتزامن للأسف كل ذلك مع تنامي مسيرة التطبيع مع إسرائيل رغم كل الفظاعات التي ترتكبها أمام عالم يدّعى التحضر والمدنية وحقوق الإنسان ،وأمام هيئات دولية تدّعي عملها من أجل السلام والعدالة والحرية في العالم يطل علينا رمضان اليوم ونحن مطالبون بألا نكتفي بالشأن التعبدي رغم أهميته إلى تكافل ليس على الصعيد الوطني فقط – وهو أمر مطلوب – بل إلى بناء شعور إسلامي حقيقي مبني على وازع الدين والدم والمصير لتقديم ما بالوسع لمساعدة إخواننا في غزة ،،

رمضان شهر بركة وخير ، شهر أنزل فيه القرآن وميّزه بليلة خير من ألف شهر ، وهو قبل ذلك ركن أساس في العقيدة الإسلامية التي يستظل المسلمون بظلها من جاكرتا إلى طنجة ومن الشيشان إلى السودان ،، لكن يجب أن نقر بحقيقة مؤلمة مفادها أننا عاجزون عن مسايرة الركب الحضاري للإنسانية وعاجزون عن حماية إخوتنا من المظالم التي يتعرضون لها في مناطق مختلفة من العالم ،،، رمضان يطل اليوم ليس فقط لصيامه وقيامه وإنما ليذكرنا إلى جانب ذلك بالجوعى والفقراء والذين ألمّتْ بهم نوائب الدهر ،، يطل رمضان اليوم وسياغدرنا شاهداً لنا أوعلينا ، فليعمل كل منا وفق سعته بأن تكون الأخرى ، وسوف لن تكون إلا إذا كنا جميعا كالجسد الواحد فعلا لا قولا ، وأن يحظى إخواننا المظلومين المكلومين في غزة بدعمنا ودعائنا ومخاطبة ولاة الأمر فينا بأن يتقوا الله في شعب يُباد ، علّ الله سبحانه وتعالى يقيّض لهذه الأمة أسباب الوحدة والنصر ،،،، رمضان كريم وكل عام والأمة بخير .

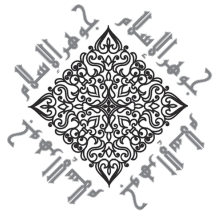

خطبة الجمعة

من أسباب قبول آداء المسلم لفريضة الصيام

الحمد لله الذي نوّع لهذه الأمة المرحومة متاجر العبادة وخصّها بشهر رمضان الذي بسط فيه على المؤمنين موائد الكرم والانعام وجعل هذا الشهر الذي تظلنا أيامه ولياليه سيّد الشهور وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة من أيقن أن لا ملجأ إلى لله إلا اليه لم يخلقنا عبثا القائل في كتابه في سؤال استنكاري ﴿**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ**﴾ اليه سبحانه وتعالى المآل وبين يديه يجمع الخلق ليرى أيّهم أحسن عملا.

وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله خير من أرشد وهدى وأنذر وحذّر وامر بالتقوى صلى الله عليه وعلى آله واصحابه صلاة وسلاما دائمين متلازمين يتضاعف أجرهما في كل آن وحين يكونان مفتاحا لدعائنا وسببا لقبول اعمالنا ويتحقّق بهما الامتثال لأمر ربنا جلّ وعلا وقوله ﴿**إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾. وأوصيكم عباد الله بما أوصي به نفسي: تقوى الله والتزوّد منها ليوم الحساب لا سيّما في مثل هذه الايام من هذا الشهر العظيم المبارك

﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ**﴾.

فتزوّدوا بالتقوى فإنها خير زاد فأيام هذا الشهر توشك أن تنقضي فالكيس من اغتنمها وعمل بما أوصى الله به رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله (**اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وحياتك قبل موتك وصحتك قبل مرضك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك**)

لنغتنم عباد الله المسلمين بقيّة أيام هذا الشهر ولنعوّض ما فات منه مما قضيناه فيما لا ينفع غدا- وهل ينفع غدا إلا الايمان والعمل الصالح؟

الايمان الذي هو اليقين والتسليم بما أجاب به رسول الله صلى الله عليه وسلم سائله وهو سيدنا جبريل عليه السلام حين قال (**أخبرني عن الايمان؟ قال عليه الصلاة والسلام الايمان: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ونؤمن بالقدر خيره وشرّه**) وهو الايمان الذي يدفع المؤمن إلى الاجتناب والانتهاء عن كل ما نهى الله عنه عباده وحرمه من الخبائث ما ظهر منها وما بطن.

*الايمان الذي لا يجتمع في قلب مؤمن مع اقتراف الذنوب مصداقا لقوله عليه الصلاة والسلام (**لا يزنى الزاني حين يزنى وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن**) أي مؤمنا حقّا، مؤمنا قوي الايمان، والايمان يضعف بالمعاصي والذنوب ويقوى بالطاعات والقربات أوّلا بآداء ما فرض الله على عباده من صلاة وصيام وزكاة وحجّ (**وما تقرّب إلي عبدي بأفضل ما افترضته عليه**)

*والعمل الصالح -وما أدراك ما العمل الصالح- وقد وسع الله مجالات العمل الصالح فلم يجعلها تقتصر على اتيان الاركان وأدائها مستوفية شروطها شروط الصحة بالاقتداء لا بالابتداع والتشهي واتباع الهوى وسبيل ذلك سؤال أهل الذكر من العلماء وشروط القبول لهذه الاركان بالاخلاص فيها لله ﴿**أَلَا لِلهِ الدِّينُ الخَالِصُ**﴾ ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾

*ويحرص المؤمن على استيفاء هذين الشرطين: الصحة والإخلاص لله فيما يؤديه من الطاعات لتؤتي هذه الاركان ثمرتها المرجوة وإلا فإنها مجرّد أتعاب لا ينتظر القائم بها صوريا ولا شكليا الثمرة المرجوة منها وهي التقوى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (**من صام رمضان وعرف حدوده وتحفظ مما ينبغي أن يتحفّظ منه كفّر ما قبله**) رواه البيهقي وابن حبان في صحيحه

*وحدود رمضان الذي يصومه المسلم هي أن لا يفسده- ليس بالطعام والشراب واتيان الشهوة فقط -فذلك معلوم بل ومعمول به من طرف أغلب الصائمين. وهو أيسر وأسهل ما في الصيام فإن النفس سرعان ما تتعوّد وتنسى عاداتها الغذائية وفي الأثر (**الصلاة عادة والصوم جلادة وإذا امتحن الناس في الدرهم والدينار قل الديانون**)

*والصلاة والصيام وبقية الاركان ما فرضها الله على عباده- وهو الغني عنهم وعن

اعمالهم- إلا لتترك الأثر في سلوك القائم بها فتمنعه صلاته عن الفحشاء والمنكر مصداقا لقوله جل من قائل ﴿**إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ**﴾ و(من لم تنهه صلاته فلا صلاة له)- أي وإن صلى، وكذلك الصيام فمن لم ينهه صيامه عن قول الزور والعمل به، وقول الزور هو الكذب والبهتان.

وقد يقع المؤمن في بعض المعاصي ويتوب إلا أن المؤمن لا يكذب كما جاء في الحديث الصحيح الكذب أحد صفات المنافق (**إذا حدّث كذب**) وكذلك لا ينبغي على الصائم أن يدع ويترك العمل بقول الزور في بيعه وشرائه وسائر تصرفاته ومعاملاته مع غيره فلا يغش ولا يطفف في الميزان ولا يحتكر ولا يأكل أموال الناس بالباطل.ولا يكون المؤمن مؤمنا حقا إلا إذا أحبّ لغيره ما يُحب لنفسه وهل يحب الواحد لنفسه ما فيه الضرر؟

وإذا ينظر المرء حواليه في سائر تصرّفات الصائمين- إلا من رحم ربك. ممن وفقهم وأعانهم على إلجام أنفسهم عن اتباع الهوى الذي هو أحد المهلكات الثلاثة التي حذرنا منها رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله **ثلاث مهلكات (هوى متّبع وشح مطاع وإعجاب المرء بنفسه)**

من ينظر حواليه فإنه يسمع ويرى كل ما ينكر من مساوئ الأخلاق، أين منها هدي الإسلام الداعي إلى الإمساك من طرف الصائم عن كل ما يُغضب الله مما يجعل صوم الصائم مردودا عليه ليس له منه إلا الجوع والعطش؟

*فلنحرص عباد الله على معرفة حدود الله ولنحرص عباد لله على التحفظ مما ينبغي أن نتحفظ منه ونتجنبه ليكون جزاؤنا وثوابنا على صيامنا وقيامنا ما بشرنا به رسول الله بأن يكون صيامنا لرمضان مكفّرا لما قبله مما أتيناه من معاصي واقترفناه من الذنوب.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر**) رواه مسلم، في أحاديث عديدة جاء النهي عن كل ما يفسد الصيام ويحبط الأعمال منها قوله عليه الصلاة والسلام (**الصيام جُنّة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني صائم إني صائم**) رواه البخاري ومسلم وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**ليس الصيام عن الأكل والشرب** (كما أسلفنا) **إنما الصيام عن اللغو والرفث فإن سابك أحد**

فقل إني صائم إني صائم) ابن حبان

فاذا اجتنب الصائم ما نهاه الله عنه وما حذره منه رسول الله صلى الله عليه وسلم فليهنأ بما أعده الله من عظيم الأجر وجزيل الثواب مما أعطاه الله لأمة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام الذي قال (**أعطيت أمتي في شهر رمضان خمسا لم يعطهن نبي من قبلي أمّا واحدة** فإنه إذا كان أول ليلة من رمضان ينظر الله عزّ وجل إليهم ومن نظر الله اليه لم يعذّبه أبدا (اللهم اجعلنا ممن تنظر إليهم في هذا الشهر المبارك فلا تعذبنا بذنوبنا وخطايانا يا أرحم الراحمين) **أما الثانية** فإن خلوف أفواههم حين يمسون اطيب من ريح المسك اي عند الله- فريح المسك طيب وأطيب منه خلوف فم المسلم الصائم حين يمسي **أما الثالثة** فإن الملائكة تستغفر لهم في كل يوم وليلة (اللهم اجعلنا ممن تستغفر لهم الملائكة (الذين لا يعصون لله ما أمرهم» **وأما الرابعة** فإن الله عزّ وجلّ يأمر جنّته فيقول لها: استعدّي وتزيّني لعبادي أوشك أن يستريحوا من تعب الدنيا إلى دار كرامتي. (اللهم ارحنا بصيامنا وقيامنا من تعب الدنيا واسكنا الجنة دار كرامتك).**وأما الخامسة** فإذا كان آخر ليلة من رمضان غفر لهم جميعا فقال رجل أهي ليلة القدر؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **لا** (اي ليس ليلة القدر- فليلة القدر شأن آخر **قال لا ألم تر إلى العمال فإذا فرغوا من أعمالهم وفّوا أجورهم)** رواه البيهقي

ابشروا عباد الله المسلمين بهذا الثواب والأجر الكبير على صيامكم وقيامكم ولا تفرطوا ولا تغفلوا عن هذا الفضل العظيم. فعن أبي مسعود الغفاري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (**لو يعلم العباد ما في رمضان** (من الأجر والثواب) **لتمنت أمتي أن تكون السنة كلها رمضان)** رواه ابن خزيمة وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**ثلاثة لا تُردّ دعوتهم وذكر منهم الصائم حين يفطر)**

فاللهم يا سميع يا مُجيب تقبّل صيامنا وقيامنا واستجب دعاءنا واجعلنا في هذا الشهر المبارك ممن تعتق رقابهم من النار.

اقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم ولوالدي ولوالديكم إنه هو الغفور الرحيم.

خطبة الجمعة ألقاها الشيخ محمد صلاح الدين المستاوي بجامع البحيرة1 تونس

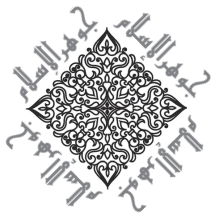

﴿يسالونك قل﴾

من يرد اللّه به خيرا يفقهه في الدين

بقلم الشيخ محمد الحبيب النفطي رحمه الله

حكم صوم رمضان للمصاب بمرض مزمن

س: تقول السائلة الكريمة سيدي الشيخ انني تونسية الجنسية ليس لي سند إلا وجه الله تعالى. وإنني مريضة مرضا عضالا (مزمنا) قد تمكن مني هذا المرض حتي انني لم اعد أتحمل الأدوية والدخل الوحيد الذي اعيش منه هو 77.500د في كل ثلاثة اشهر هذه الجراية المذكورة تأتيني من قبل التضامن الاجتماعي. وسؤالي سيدي الشيخ هو انني لم أعد قادرة على أداء فريضة الصوم فهل تتحتم علي الفدية عوض الصوم؟ هذا مع العلم أنني أعيش الآن مع عائلة ابن اختى فالماكل والمشرب متوفر والحمد الله. فأرجوك سيدي الشيخ أن تجيبني عن سؤالي هذا. والسلام

ج: اعلمي ايتها السائلة الكريمة – شفاك الله تعالى من مرضك هذا الذي تشكينه وهو مرض مزمن كما ذكرته – لا يرجى برؤك منه فإنه يجوز لك أن لا تصومي رمضان لكن بعد عرض حالتك على طبيب مختص ثقة فإن قال لك الطبيب المذكور ان الصوم يضرّ بصحتك ويدخل عليك مشقة كبيرة غير مشقة الصوم العادية لدى غالب الناس فإنه حينئذ يجوز لك عدم صوم رمضان ويجب عليك أن تعطي فدية عن كل يوم من ايام رمضان ومقدار الفدية يكون على قدر يسر وعسر معطي الفدية عن كل يوم من أيام رمضان.

ويجوز لمعطي الفدية المذكورة أن يعطيها دفعة واحدة في أول يوم من أيام رمضان

كما يجوز له أن يعطيها في آخر يوم من أيام رمضان ويجوز أيضا لمعطي الفدية أيضا أن يعطيها مياومة اي يعطيها يوميا كما يجوز لمعطي الفدية أن يعطيها لفقير واحد وهو الأحسن وأن يعطيها لفقراء متعددين فالفدية لا يشترط فيها عدد معين من الفقراء ككفارة اليمين وكفارة الإفطار في رمضان عمدا ولغير ضرورة والله الموفق.

العلاقة بين الصلاة والصوم

س: يقول السائل الكريم الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين 16 و18 سنة وهم يصومون رمضان ولا يقومون بالصلاة، هل يعتبرون كفارا غير مسلمين؟

ج: اعلم ايها السائل الكريم أن الشرع العزيز لم يحدد وجوب القيام بالتكاليف الشرعية من صلاة وصيام وغيرهما إلا ببلوغ سن التكليف ومن شروط التكليف العقل فالشرع العزيز لا يكلف المجنون وكذلك لا يكلف الصبي الذي لم يبلغ الحلم اي الاحتلام. وهذا بالنسبة للشاب وأما بالنسبة للفتاة فعلامة بلوغها سن التكليف أن تجري عليها العادة الشهرية التي تاتي النساء وكذلك من علامات بلوغ النساء سن التكليف ظهور الحمل. وعلامات البلوغ هذه التي ذكرتها لك ايها السائل الكريم قد تظهر في الفتى أو الفتاة وان لم يبلغا من العمر 16 أو 18 سنة وعليه فمتى ظهرت علامة من العلامات المذكورة آنفا وجب الصوم والصلاة على الفتى والفتاة فلا ينتظر مرور16 أو 18 أو حتى أقل من ذلك من عمر الفتى أو الفتاة قال ابن عاشر رحمه الله في نظمه المسمى بالمرشد المعين على الضروري من علوم الدين

وكل تكليف بشرط العقل مع البلوغ بدم أو حمل أو بمني أو بإنبات الشعر أو بثمان عشرة حولا ظهر

وإن لم تظهر اي علامة من العلامات المذكورة بالفتى أو الفتاة وقد بلغت سن الفتى أو الفتاة ثماني عشرة سنة وجب عليهما القيام بالتكاليف الشرعية من صلاة وصوم وغيرهما.

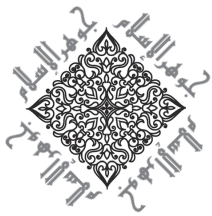

رسالة من رسائل في التصوف

لسليل الخطباء وكبار الشيوخ والأولياء مَحمد ابن عبّاد الرندي النفزي ثم الفاسي معروف بشارح الحكم (733ـ 792) «الرسالة التاسعة من الرسائل الصغرى»

بعناية: الأستاذ عبد الهادي هنركامب

جورجيا ـ الولايات المتحدة

(الجز الثاني)

رسالة تتضمن التوصية والنصيحة لرجل أصابه ضيق في صدره مِمّا هو عليه من أحوال غير مرضية عنده مع أنه يريد الأنتقال عنها إلى أحوال أخر مرضية عنده وموثرة له فلم يقدر على ذلك

أمّا ما ذكرتموه مِن ترتيب أحوالكم في ليلكم ونهاركم، فذلك كلّه حسن ينبغي لكم أنْ تشكروا الله تعالى على هدايتكم إليه واستعمالكم فيه.فإنّ جميع ذلك قرب إلى الله – عزّ وجلّ – قلّ مَن يظفر بها. وإنّمَا تدخل عليكم الوسوسة في ذلك والتشويش منه حتّى لا تجدوا له حلاوة ولا رأيتم عليه طلاوة، مِن قِبل أنّكم فاقدون للمشاهدة المذكورة، غافلون عنها. فلو أعرضتم عن نظركم إلى أنفسكم في أنْ تروا لها حولاً أو قوّةً أو تنيلوها حظّاً، وشاهدتم انفراد الله تعالى بتدبير أمركم، وحسنتم الظنّ به، لرأيتم مِن نعمة الله تعالى عليكم وضروب تخصيصاته لكم، ما يذهلكم عن تطلّب

(1) محمد بن عبّاد الرندي، الرسائل الصغرى، الدراسة والتحقيق الأب بولس نويا ، بيروت: دار المشرق، 1974، ص 101 ـ114.

أمر وراء ذلك وأنْ تصغوا بـهممكم إليه. ومبدأ ذلك - أعني ما ظهر لنا من النعم - أنْ أخرجكم مِن ظلمة العدم إلى نور الوجود؛ ثم غذاكم بلطفه وربّاكم بحنانه ولطفه إلى أنْ عقلتم وفهمتم. ثم حلّاكم بحلية الإسلام والإيمان، وتعرّف لكم بواضح البرهان؛ وجعلكم مِن حملة كتابه، وواجهكم بكريم خطابه، وجعلكم محلّاً لظهور صفاته واسمائه وأهلاً لقبول تكاليفه وتصديق أنبيآئه؛ ثم استعملكم في التعلّم والتعليم، ورقاكم إلى المنصب العظيم، إلى غير ذلك مِن أنواع النعم الظاهرة، وما غاب عنّا وعنكم أكثر. كلّ ذلك مِن غير وسيلة منكم ولا استحقاق؛ بل بمحض كرمه وفضله. وفي كلّ واحدة مِن هذه النعم نعمٌ لا تُحصى نفعاً ودفعاً: ﴿**وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَآ**﴾ [إبراهيم: 34].

فمن شاهد هذه النعم ورأى نفسه فيـها طفيليّاً، استغرقه الفرح بـها والشكر عليها، ومنعه ذلك مِن التشوّف إلى ما لم يؤته الله تعالى، وما[1] يكون فيه هلاكه ولا يشعر بذلك. ولا شيء أحبّ إلى الله تعالى مِن قيام العبد بحكم حاله التي هو عليها؛ فبذلك تظهر عبوديّته ويتحقّق أدبه. قال عمرو بن عثمان المكّيّ[2]- رضي الله عنه: «التصوّف أنْ يكون العبد في كلّ وقت بما هو أولى به في الوقت.»[3] ونعني بذلك أنْ يكون العبد حاضراً مع ربّه - عزّ وجلّ - في ذلك، قائماً بحقوق الشرع فيه.

وكيفيّة حضوره مع ربّه هو ما ذكرناه مِن معاملات أهل التوحيد. وكيفيّة قيامه بحقوق الشرع أنْ يتبع ما رسمه علماء الظاهر في المسائل الفقهيّة. فإنْ قدرعلى العمل بما اتّفقوا عليه مِن غير حرج ولا ضيق صدر، فقد حاز أعلى مرتبة في التّقوى والورع، ونال درجة الـمتّقين والورعين. وإلّا أخذ بالخلاف بعد أنْ يتقن علم ذلك على أربابه،

(1) في نسخة: ربّما.

(2) أبو عبد الله عمرو بن عثمان المكّيّ: (904/ 291): لقي أبا عبد الله النباجي، وصحب أبا سعيد الخرّاز وغيره. شيخ القوم وإمام الطائفة في الأصول والطريقة. مات ببغداد سنة إحدى وتسعين ومئتين - رحمه الله. «سمعتُ محمد بن الحسين بقول: سمعتُ محمد بن عبد الله ابن شاذان يقول: سمعتُ أبا بكر محمد بن أحمد يقول: سمعتُ عمرو بن عثمان المكّيّ يقول: «كلّ ما توهّمه قلبُك، أو سنح في مجاري فكرك، أو خطر في معارضات قلبك؛ مِن حسن أو بـهاء، أو أنس أو ضياء، أو جمال أو قبح، أو نور أوشخص أو خيال، فالله تعالى بعيد من ذلك، ألا تسمع إلى قوله تعالى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ**﴾ [الشورى: 11]، وقال: ﴿ **لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَد * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ** ﴾ [الإخلاص: 3 - 4].» عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، الرسالة القشيرية، تحقيق: أنس محمّد عنان الشرفاوي (بيروت: دار المنهاج، 2017)،ص 168.

(3) أورده القشيري في الرسالة، ص 586، والسراج في اللمع ص 45، والخركوشي في تهذيب الأسرار ص 50.

لأنّ اختلاف العلماء رحمة في مثل هذا، ولولا ذلك لهلك أكثر الناس. والأمر في هذا قريب لمن نصح نفسه واقتصر مِن الدنيا على اليسير، ولم يسترقه بطنه ولا فرجه. وإنّمَا يصعب الأمر على المتوسّع في الدنيا ومَن تدخل عليه مِن وجوه كثيرة. فمثل هذا لا يسلم مِن ارتكات مساخط الله تعالى بجهله وغفلته. «ومَن تشعبت به همومه في أودية الدنيا، لم يبال الله تعالى في أيّ أوديتـها هلك.»[1]

ولا شكّ أنّ تعليـمكم الأولاد من أفضل القُرَب إلى الله تعالى.

ولكن أخذكم الأجور على ذلك مما اختلف فيه العلماء، إلّا أنّ أكثرهم على جوازه. فما أخذتموه مِمّن يُرضى كسبُه أو هو مجهول لا يدرى حاله فهو حلال. فإنْ أضفتم إلى ذلك أنْ لا تستقصوا في طلب الأجرة منـهم، وتأخذون ما عفى، وكانت هـمّتكم في مراعاة تعليـمهم تقرّباً إلى الله تعالى فقط، كان ذلك حسناً منكم. وقد مضى عليه ناس صالحون عملهم مثل عملكم. وهو الذي أشار إليه ابن العريف[2] فيما حكيتـموه عنه. وعلامة صدقكم في ذلك أنْ لا تميل قلوبكم إلى مَن يعطيكم أكثر مِن ميلها إلى مَن لا يعطيكم، أو يعطيكم التافة اليسير، ولا تحبّون بقاءه عندكم أكثر مِن بقاء عيره.

فهذه هي العلامة القاطعة فيـمَا ذكرناه. وتستعينون على هذه الحالةبأنْ تعلموا أنّ رزقكم لا بدّ أنْ يصلكم حتـمًا، وأنّ الحرص لا يزيد فيه وعدمه لا ينقص منه، وأنّ رزق الآخرة هو الذي ينبغي أنْ يُحرص عليه ويُبذل المجهود في طلبه – ﴿**وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى**﴾ [طه: 131]. ثم أنتم متـمكّنون مِن هذا الوجه، فلِـمَ تفرطون فيه،

---

(1) فقد جاء في سنن ابن ماجه عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ – رضي الله عنه قَالَ: «لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ صَانُوا الْعِلْمَ وَوَضَعُوهُ عِنْدَ أَهْلِهِ لَسَادُوا بِهِ أَهْلَ زَمَانِهِمْ، وَلَكِنَّهُمْ بَذَلُوهُ لأَهْلِ الدُّنْيَا لِيَنَالُوا بِهِ مِنْ دُنْيَاهُمْ فَهَانُوا عَلَيْهِمْ، سَمِعْتُ نَبِيَّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ جَعَلَ الْهُمُومَ هَمًّا وَاحِدًا هَمَّ آخِرَتِهِ كَفَاهُ اللَّهُ هَمَّ دُنْيَاهُ، وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ الْهُمُومُ فِي أَحْوَالِ الدُّنْيَا لَمْ يُبَالِ اللَّهُ فِي أَيِّ أَوْدِيَتِهَا هَلَكَ.»ورواه الإمام الغزالي في الإحياء:«من تشعبت به الهموم في أودية الدنيا فلا يبالي الله في أي واد أهلكه منها فهذا شأن المنهمكين في أشغال الدنيا.»» اهـ. ورواية ابن عبّاد هنا على لفظ الإمام الغزالي.

(2) هوأبو العباس أحمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله الصنهاجي الأندلسي، عرف بابن العريف أحد العلماء المتسمين بالعمل والعلم والزهد الفقيه المحدث أحد أعلام الصوفية ورجال الكمال صاحب كرامات ودعوات مستجابة وبينه وبين القاضي عياض مكاتبات تدل على فضله. أخذ عن أبي الحسن البرجي وغيره، وعنه أبو بكر بن خير وغيره أمر بإشخاصه السلطان إلى مراكش وبها توفي ليلة الجمعة في 23 صفر سنة 1141/ 536، وكانت جنازته مشهودة.محمد مخلوف، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**.

وما أخذتموه على هذا الوجه يبارك لكم فيه، حتّى يكون الدرهم الواحد يقوم مقام مائة ألف درهم. فإنْ تحقّقتم بما ذكرناه أوّلاً مِن المشاهدات التوحيدية، كفاكم ذلك في حصول هذا الطلب وغيره، ويبقى عليكم النظر في وجه سياسة الأولاد وتأديبهم على اختلاف أطوارهم. فإنّ منهم الذكيّ والغبيّ والقريب والأجنبيّ والشريف والدنيّ والفقير والغنيّ إلى غير ذلك مِن اختلاف أحوالهم. وكلّ واحد منهم يقتضي منكم حقّاً توفّوه له ولا تبخسوه شيئاً. وإنّمَا تقدرون على ذلك بأنْ تكون فيكم أربع خصال: إيمان راسخ، وذهن ثاقب، وعلم متين، وخلق حسن. فباستكمال هذه الأربعة فيكم تقدرون على أنْ تنزلوا كلّ واحد في منزلته، وتعاملوه بالمعاملة اللائقة به. فإنْ لم تستوفوا ذلك فاسلكوا سبيل الْاحتياط والمسامحة ما أمكن؛ فلأنْ تخطئوا في العفو خير مِن أنْ تخطئوا في العقوبة. وهذا كلّه فقه حاليّ لا سبيل إلى ضبطه.

أمّا ما ذكرتموه مِن أنّكم إذا تلوتم القرآن لا تجدون رقّة، وربّمَا طلبتم أنفسكم بالبكاء فلا تبكون، فإنّمَا سبب ذلك غفلتكم حين قِراءتكم عمّن هو كلامه وعلى مَن أنزل وفيما أنزل. وكيف يجيئكم البكاء وأسبابه ضعيفة عندكم؟وقد وصف الله تعالى الواجدين لذلك عند تلاوة القرآن بصفات جليلة فقال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا**﴾ [الإسراء: 107 – 109]. فوصفهم أوّلاً بإيتاء العلم وبالمعرفة بالله تعالى حيث نزّهوه وعظّموه بقولهم ﴿**سُبْحَانَ رَبِّنَا**﴾؛ وبغاية عبوديتهم له بخرورهم للأذقان سجّداً؛ وبيقينهم بالدار الآخرة والجزاء فيها بالثواب والعقاب. ثم وصفهم بالبكاء والخشوع؛ وقال تعالى: ﴿**وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ * وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ القَوْمِ الصَّالِحِينَ**﴾ [المائدة: 83]. فوصَفهم بمعرفة الحقّ والإيمان به واللجإ إلى الله تعالى والْافتقار إليه والطمع في القرب منه والإحسان في معاملته. وقد فسّر رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم –الإحسان في الحديث الصحيح بقوله: «**أنْ تعبد الله كأنّك تراه فإنْ لم تكن تراه فإنّه يراك.**»[1] وهذا كلّه راجع إلى المشاهدات المذكورة. فاجعلوها مِن بالكم وابنوا عليها صالحات أعمالكم تحمدون عاقبتها في حالكم ومئالكم، كما ذكرناه لكم. وما يسّر عليكم مِن التلاوة بانشراح مِن صدوركم، فذلك نعمة عظيمة – كان في ذلك رقّة أو لم تكن.

(1) متفق عليه.

وأمّا ما ذكرتموه مِن أنّكم خائفون مِن الموت أنْ ياتيكم على ما أنتم عليه مِن الأحوال، فذلك شيء حسن وهو مِن نعم الله تعالى عليكم؛ فاشكروا الله عليه وسلوه المزيد منه، لأنّه مَن أقيم في مقام الخوف كان عاقبته الأمن – يقول الله تعالى فيما يروى عنه: «**لا أجمع على عبدي خوفَيْن ولا أمنَيْن، مَن خافني في الدنيا أمنته في الآخرة ومَن أمنني في الدينا أخفته في الآخرة.**»[1] ولأنّه أيضاً مِن صفات العلماء بالله وأهل رضوانه؛ قال الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾[فاطر: 28]؛ وقال الله تعالى: ﴿**رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ**﴾ [البينة: 8]. وأحسن مِن ذلك الخوف، أنْ تخافوا أنْ تلقوا ربّكم وأنتم تريدون غير ما أراده بكم مِمَّا فيه صلاحكم.

وأمّا توهّمكم أنّ ذلك يؤدّيكم إلى القنوط، فذلك توهّم باطل، لأنّ الرجاء يمنع منه. والخوف والرجاء مِن مقامات العلماء العارفين، والأمن مِن مكر الله والقنوط مِن رحمة الله مِن صفات الجاهلين الغافلين. وسبب غفلتهم وجهلهم رؤيتهم لأنفسهم في أعمالهم الحسنة أو السيّئة. ولو نظروا إلى الواحد الأحد، لأستوت الأحوال عندهم، ولكانوا موصوفين بالخوف الذي يصحبه الرجاء، وبالرجاء الذي يلازمه الخوف. فاعلموا ذلك واعملوا به، ولا تنظروا إلى أعمالكم فتقعون فيما وقعوا فيه، والعياذ بالله.

وأمّا ما ذكرتموه مِن أنّكم إذا أخذتم في شيء مِن أعمال البر لا تدومون عليه، بل تكسلون عنه وتتركونه لشغلكم بالمسيد والأهل – حسبمَا ظهر لي مِن كلامكم – فإنّمَاذلك لفقدانكم المشاهدات المذكورة. فلو كنتم متحقّقين بها ثم اعتراكم الفتور والكسل عنها نادراً بأمر مِن الأمور، لكانت لكم معاملات أخر تقوم مقامها، بل تزيد عليها مِن غير أنْ يدخل عليكم تلبيس أو غرور. ولو جرت الأمور على وفق إرادتكم ربّمَا لا تأمنون ذلك فيها. فثقّوا بربّكم وحسّنوا به الظنّ؛ فهو أعلم بالمصالح منكم. وقد روي عن إبراهيم ابن أدهم(165/ 782)[2]– رضي الله عنه – أنّه قال: «نمت

(1) الحديث عن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي – صلّى الله عليه وسلّم – فيما يرويه عن ربّه – جلّ وعلا – أنّه قال: «**وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين ولا أجمع له أمنين، إذا أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة، وإذا خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة**». أخرجه ابن حبان في صحيحه، والبزار في مسنده، والبيهقي في **شعب الإيمان**، وابن المبارك في **كتاب الزهد**، وأبو نعيم في **حلية الأولياء**، وصححه الحافظ ابن حجر في مختصر زوائد البزار.

(2) «إبراهيم ابن أدهم، أبو إسحاق. من أهل بلخ كان من أبناء الملوك والمياسير. خرج متصيّدا، فهتف به هاتف، أيقظه من غفلته. فترك طريقته، في التزيّن بالدنيا، ورجع إلى طريقة أهل الزُّهد والورع. وخرج إلى مكة وصحب بها سفيان الثوري، والفضيل بن عياض. ودخل الشام، فكان

ليلة عن وردي، فاستيقظت فندمت، فنـمت بعد ذلك ثلاثة أيّام مِن الفرائض. فلمَّا استيقظت سمعت هاتفاً بقول:

كُلُّ شَيءٍ لَكَ مَغْفُورٌ سِوَى الْإِعْرَاضِ عَنَّا ❊ قَدْ وَهَبْنَا لَكَ مَا فَاتَ بَـقِيَ مَا فَاتَ مِنَّا

ثم قيل لي: يا أبراهيم كن عبداً فكنت عبداً لله، فاسترحت»[1]. ومع هذا فما فتح عليكم به مِن العبادات، وإنْ قلّت، فاشكروا الله عليه، فإنّـها لا تضيع عنده. وقد قال سيّدي أبو العبّاس المرسيّ: «**قليل العمل مع شهود المنّة مِن الله تعالى خير مِن كثير العمل مع رؤية التقصير مِن النفس**»[2].

وأما ما ذكرتموه مِن الوسوسة التي كانت تعتريكم وبقي عليكم منـها بقية، فاعلموا أنّ ذلك مِن البلايا التي يبتلي الله بها بعض عباده، وبختصّ بذلك أهل الدين منـهم. فلا يزال العدو بلقي الوساوس في قلب الواحد منـهم حتّى يوقعه، أمّا في البدعة أو الكفر أو اختلال العقل. وأقلّ ما يصيبه به أنْ ينغّص عليه عيشه ويـمنعه وجدان راحة. وكلّ ذلك بقضاء وقدر. فنعوذ بالله مِن سوء القضاء ودرك الشفاء، وشماتة الأعداء.

وسبب ذلك فقدانـهم للمشاهدات المذكورة. فلو تحقّقوا بذلك لم يجد الشيطان سبيلاً إليـهم لأنّـهم عباد الله حقّاً. وقد قال تعالى: ﴿**إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ**﴾ [فاطر: 6]. وقال تعالى:﴿**إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ**﴾ [الحجر: 42]. فإنْ وسوس إليـهم، رجعوا إلى ربّـهم فصرفه عنـهم واستعاذوا به فاعاذهم. قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ**﴾ [الأعراف: 201]؛ وقال تعالى:﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ [فصلت: 36].

فإنْ قلتَ: كيف يكون ذلك مِن الشيطان وهو فيما يظهر دعاء إلى تصحيح الدين

يعمل فيه، ويأكل من عمل يده؛ وبها مات». أبو عبد الرحمن السلمي، طبقات الصوفية، تحقيق: نور الدين الشريبة (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1389/ 1969) ص 27.

(1) ورد في **التنوير في إسقاط التدبير**، أحمد بن محمد ابن عطاء الله الأسكندري، تحقيق: أنس محمّد عدنان الشرقاوي (دمشق: دار التقوى، 2021)، ص 100 –101؛ أنظر أيضا**قوت القلوب**، ج 2، ص 1071.

(2) ابن عطاء الله السكندري، **لطائف المنن**، تحقيق: عبد الحليم محمود (القاهرة: دار المعارف، 2006)، ص 169؛انظر **التنبيه في شرح حكم ابن عطاء الله** لابن عبّاد الرندي، ذيل حكمة:«مَن عَـبَّـرَ مِن بِساطِ إحسانِه، أصـمَتَتْهُ الإساءةُ؛ ومَن عَـبَّـرَ مِن بِساطِ إحسانِ الله إليه، لَمْ يَصمُتْ إذا أساءَ»**حيث** نقل ابن عبّاد نصا كاملا من **لطائف المنن** مستوعبا لمثل هذا المعنى (انظَر **لطائف المنن** ص 168 – 170).

والحصول على اليقين؟وكيف يفرّق بين الوسوسة المذمومةوالخاطر المحمود في ذلك وهما متشابـهان؟ فاعلم أنّ كون ذلك مِن الشيطان صحيح، وإنّمَا ذلك لمخالفته للعلم ومضادته للتسهيل والتيسير والسمـاحة التي اتصف بـها هذا الدين، كما سبق، فكان ذلك غلوّ وبدعة. وهذا هو الفرق بينه وبين الخاطر المحمود لأنّ الخاطر المحمود لا يدعو إلّا إلى موافقة العلم. والوسوسة أيضاً مِن شأنـها ألا تزول ولو أحسن العبد في عمله ووافق السنّة. والخاطر قد يزول إذا أحسن. وهي علّة لا دواء لـها إلّا الإلغاء لها واتباع ظاهر العلم والرغبة إلى الله تعالى في زوالها. وملاك هذا كلّه التحقيق بالمشاهدات المذكورة أوّل الكتاب. فذلك هو الْاكسير الذي يقلّب أعيان الأشياء، وينتسخ الظلمة بالضياء، والأماتة بالأحياء؛ رزقنا الله منـها ما رزق أولياءه بـمنّه وكرمه. وقد روي عن بعضهم[1] أنّه قيل له:«إنّ فلاناً يعتريه الوسواس؛ فقال: عهدي بالصوفيّة يسخرون بالشيطان والآن الشيطان يسخر بـهم»[2]. «وكان سيّدي أبو العبّاس المرسيّ – رضي الله عنه – شديد الكراهة للوسواس في الصلاة والطهارة، ويثقل عليه شهود مَن كان ذلك وصفه. وقيل له يوماً إنّ فلاناً صاحب علم وصلاح وهو كثير الوسواس، فقال: «وأين العلم والصلاح يا فلان؟العلم هو الذي ينطبع في القلب كالبياض في الأبيض والسواد في الأسود».[3]

وأمّا ما ذكرتم مِن أنكم في بعض الأوقات تطالعون بعض الكتب مِن غير تعيين كتاب أو فنّ واحد، فذلك حسن. وأحسن منه لو اشتغلتم بتقديم الأهمّ فالأهمّ، والأهمّ إنّمَا هو ما تستفيدون به مزيد حضور ومراقبة ككتاب[4] ابن عطاء وغيره.

أمّا ما ذكرتم مِن أنّكم تشتغلون بالتجويد في بعض الأيّام فذلك حسن، بشرط أنْ لا تعملوا بما اعتاده الناس مِن غفلتـهم عند ذلك، ومراعاتـهم لإصلاح ألسنتـهم، ومبالغتـهم في إخراج الحروف مِن مخارجها، مع الغفلة عن معاني ما يقرؤون. فتكونوا ضحكة للشيطان. وأحسن مِن ذلك لو التـمستم رجلاً له بصيرة في علم اليقين، تجلون إليه وتستفيدون منه. وما أعزّ هذا في الوجود.

وأمّا ما ذكرتم مِن أنّ أخي محمد بن أديبة – رحمه الله ورضي عنه – كان أشار

(1) وهوالشيخ أبو عبد الله بن خفيف الشيرازيّ (981/ 371)؛ صحب رُويما، والجريريّ، ابن عطاء وغيرهم.
(2) **الرسالة القشيرية**،تحقيق: **أنس محمد عدنان الشرفاوي، ص 219 – 220**.
(3) **لطائف المنن**، تحقيق: عبد الحليم محمود، ص 123.
(4) في بعض النسخ: ككتب.

عليكم بمطالعة **الإحياء** لأبي حامد الغزّالي، فذلك رأي حسن، لأنّ الكلام فيه مبسوط مـهذّب، قلّ أنْ يوجد في غيره، إلّا أنّي لا أرى أنْ تقرأوا منه إلّا ما يشتـمل على عبادة أو معاملة. أمّا ما يذكر فيه أنّه مِن علم المكاشفة أو ما لا يتعلّق به عمل، فإنّ قرأتـموه فلا تشغلوا همّكم به إذ لا فائدة لكم فيه. وأكثر هذا إنّمَا هو في ربع المنجيات. وأمّا الربعان الأوّلان[1] فأكثر ما فيـهما فقه، وهو فيه إمام متّفق عليه. وأمّا الربع الثالث، فأكثر ما فيه منقول مِن **كتاب الرعاية**[2] مع زيادة تـهذيب وتحرير، وفيه زيادات كثيرة مفيدة. فهذا ما عندي فيه. وإذ طالعتم كتاباً- أيّ كتاب كان - فلترفعوا هـمّتكم في ذلك إلى الله تعالى في أنْ يفهّـمكم ما هو الحقّ، مِن غير اعتماد على عقلكم. ولتقدّموا بين يدي ذلك الْاستخارة، فإنّ ذلك أدنى لإصابة الحقّ[3] والظفر به. وقد نبّه على هذا السهروردي في **كتاب عوارف المعارف**، أعني تقديم الِاستخارة على مطالعة الكتب.[4]

والذي أوصيكم به أوّلاً وآخراً أنْ لا تغفلوا عمّا ذكرناه لكم، تصريحاً أو تلويحاً، مِن المشاهدات التوحيديّة والمنازلات اليقينيّة. وقد كررناها عليكم كذا كذا مرّة وبنينا مسائلكم عليـها مسألة مسألة، إلّا ما غفلنا عنه منـها حين الكتْب، وإنْ تعولوا عليه وتركنوا إليه وتلتـمسوه مِن مظانه وعند أهله. فهو بحمد الله لباب اللباب والعلق النفيس الذي يتنافس فيه أولو الألباب. وأقلّ ما تستفيدون به في دنياكم الراحة مِن شرورها وكروبـها،والْاستغناء بالنعيم المعجّل فيـها عن التقيّد بعاداتـها والتعبّد لأربابـها. وفي الحديث المأثور عن رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم - «**كفى باليقين غِنًى**».[5]وإذا

(1) نسخة: الربعين الأولين.

(2) انظر قول الإمام الغزالي في **المنقذ من الضلال**.

(3) في طبعةنويا: الإجابة، وفي جميع النسخ: الإصابة.

(4) شهاب الدين أبي حفص عمر البكري السهردردي، عوارف المعارف، تحقيق: بلال محمد حاتم السقا، (دمشق: دار التقوى ١٤٤٣/ ٢٠٢٢)، ج ١، ص ١٩٧.

(5) الحديث أخرجه ابن أبي الدنيا (894/ 281) في **كتاب اليقين** بنصه:«حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهَّ، ثنا مَنْصُورُ بْنُ أَبِي مُزَاحِمٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَيَّاشٍ، عَنْ أَبِي سَيَّارٍ الْمُكَيِّ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، قالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ - صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وسلّم: »**الْكَرَمُ التَّقْوَى، وَالشَّرَفُ التَّوَاضُعُ، وَالْيَقِينُ الْغِنَى**«»؛ ابن أبي الدنيا، **كتَاب اليقين**، تحقيق: عبد القادر عطا، في **موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا**(بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، 1441/)1993، ص 28؛ كما أخرجه البيـهقي في السنن الكبرى 136/ 7؛ والإمام أحمد في المسند 10/ 5؛ والقرطبي في تفسيره 354/ 16؛ وأورده السيوطي في **الدر المنثور** 99/ 6؛ وفي **مناهل الضيف** 27؛ والزبيدي في **إتحاف السادة المتقين** 352/ 8؛ والهندي في **كنز العمال** 5637؛ والعراقي في تخريج الإحياء 331/ 3؛ وابن الجوزي في العلل المتناهية 120/ 2.

كان أرباب الدنيا، المتشاغلون بها، إذا اعتراهم الهمّ والغمّ فيها، ومنعهم ذلك عمَّا هم بسبيله من التمتّع والتنعّم بها، يحرصون على إزالةذلك عنهم بمَا يمكنهم مِن الأسباب وَبمَا يكسبهم الرَوح والفرح فيها، فتراهم عاكفين على شرب الخمر في المتنزّهات والبساتين، وعلى سماع النغم الموزونة مِن أنفسهم ومِن غيرهم، وسماع أصوات الطيور وآلات الطرب وأنواع الملاهي، كما قال بعض الشعراء:

إِصْرِفْ بِصَرْفِ الرَّاحِ عَنْكَ الْأَسَى وَرَوِّحِ الْقَلْبَ وَلَا تَكْتَئِب
وَقُلْ لِمَنْ لَامَكَ فِيمَا بِهِ تَدْفَعُ عَنْكَ الْهَمَّ قَدْ تكِتِّئِب[1]

مع أنّ هذه الأشياء لا أصل لها في الحصول على ما طلبوه، بل ربّمَا أعقبهم ذلك في دنياهم أنواعاً مِن الكروب والغصّص التي لا يرضى بها عاقل، فضلاً عمّا يورثهم ذلك في أخراهم، فلئن يحرص طالب الآخرة على ما يزيل غمّه وهمّه في الدنيا، ليستقيم فيها على العبودية لربّه- عزّ وجلّ - والتلذّذ بمناجاته، أولى وأحرى. وليس ذلك إلّا بهذه المعارف التي ذكرناها. وفي بعض الأحاديث: «**روّحوا القلوب ساعة بساعة.**»[2] وقال بعض العارفين: «**طيبوا حياتكم بالسكون إلى مجاري الأقدار، ولا تنغصّوها بالاضطراب عند وقوعها فتتعبوا.**»[3] وقال بعضهم: «**الرضى باب الله الأعظم وجنّة الدنيا ومستراح العابدين.**»[4]

فهذا ما حضرني مِن الكلام على مسائلكم، وأظنّه موافقاً لمَا طلبتم. والله تعالى وليّ التوفيق لي ولكم إلى ما يحبّه ويرضاه. والسلام عليكم وعلى جميع أصحابنا ورحمة الله ببركاته.

---

(1) من مقامات الحريري.

(2) رواه ابن عبد البرّ في كتابه **جامع بيان العلم** بسنده عن ابن شهاب - الزهري - أنّه كان يقول: «**روحوا القلوب، ساعة ساعة**»؛ وقال محققه: إسناده صحيح، ج 1، ص 434. وقال السخاوي في **المقاصد**: حديث ورِّحوا القلوب ساعة وساعة الديلمي من جهة أبي نعيم ثم من حديث أبي الطاهر الموقري عن الزهري عن أنس رفعه بهذا، وشهد له ما في **صحيح مسلم** وغير من حديث: «**يا حنظلة ساعة وساعة**».

(3) لم أجده بما عندي من المراجع.

(4) منسوب إلى أبي عبيد عبد الواحد بن زيد: «**الرضا باب الله الأعظم، وجنة الدنيا ومستراح العارفين**؛ أبو خلف الطبري (470/ 1077)، **سلوة العارفين وأنس المشتاقين**، تحقيق: جرهارد بورينغ وبلال الأوفه لي، (ليدن: دار بريل للنشر 2013)، ص 100؛ **الرسالة القشيرية**،تحقيق: أنس محمد عدنان الشرفاوي، ص 454؛ ورواه ابن أبي الدنيا في **الرضا عن الله**، ص 13.

وفاء الباحث الشهير أحمد تَيْمور باشا نحو الإمام الأكبر محمد الأخضر حسين التونسي شيخ الجامع الأزهر

بقلم الاستاذ: صالح العَوْد
ـ باحث وكاتب ـ

لقد توطّدتْ العلاقة لسنوات خَلَتْ بين الرجليْن العظيميْن، منذ أن حلَّ العلامة المجاهد الشيخ محمد الخضر حسين التونسي، بأرض مصر مهاجرا إليها في سنة (1339هـ = 1921م)، رغَبًا وهرَبًا من ملاحقة المستعمِر الفرنسي، الذي حكم بالقبْض عليه ثمّ إعدامه وهو في وطنه: تونس؛ لذلك اضطر إلى أن يغادرها متخفيا وسائحا في الأوطان: شرقا وغربا؛ ثمّ ألْقى عَصَا التسيار بمصر أرض الكنانة، حيث مأواه الأخير حتى وفاته فيها سنة (1377 هـ = 1958م).

كان الباحث العلامة الجليل: الأستاذ أحمد تَيْمور باشا (توفي سنة 1348هـ = 1930م)، من الأوائل الذين أخذوا بيده، وشدّ أزره حين دخل مصر وحيدا.. غريبا.. بل مجهولا بين علمائها وأكابر شيوخها آنذاك، فساعده على شق طريق المجد، وألحّ عليه بالبقاء دون المغادرة، حين علم تردّده بيْن اللجوء فيها أو الرحيل عنها.

يقول الأستاذ محمد موسى الشريف بهذا الشأن، في كتابه: (عظماء مَنْسيون في التاريخ الحديث/ ص 104): «عمل في مصر مصحِّحًا بدار الكتب المصرية، بشفاعة أحمد تيمور باشا، الذي عَرَف قدره؛ وكان يُلْقي المحاضرات، والدروس في مساجدها، ويكتب المقالات المتنوّعة الكثيرة».

أما المفكر د. محمد عمارة فيقول عنه ـ بعدما استقرّ به المُقام فيها، في كتابه: (شخصيات لها تاريخ / ص 220):

«... وفي القاهرة أقام بناءه الفكري، واستقرّتْ علاقاتُه الجهاديّة في سبيل العُروبة والإسلام، فحصل على العالِميّة من الأزهر، وأصبح عضوا في «هيئة كبار العلماء» ودخل مَجْمَعَ اللغة العربية، وصار شيخا للأزهر سنة (1371هـ = 1952م)، وأسس منذ سنة (1342هـ = 1924م): (جمعية تعاون جاليات إفريقيا الشمالية)، التي كانت مُلْتقى المجاهدين ضد الاستعمار الفرنسي لتونس والجزائر والمغرب؛ وإلى جانب المجلّات التي رأس تحريرها: الهداية الإسلامية، ونور الإسلام، ولواء الإسلام..».

إن سيرة الشيخ الإمام محمد الخضر حسين رحمه الله وطيب ثراه، لا يتسع لها هذا المقال المُقْتَضَب، وإنما هي لمحات ولمعات من جهاده العلمي العظيم، وعطائه الثَّرّ أينما حلّ وارتحل، على غرار ما قام به السلف، وتبعهم في ذلك الخلف من بعدهم، امتدادا لما فعله وقام به الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلّم.

حَلّاه وزكّاه، مُحبُّه ومُجِلُّه: الأستاذ البارع وصديقُه المعروف والشهير السيد محبُّ الدين الخطيب بقوله الصادق فيه: «هذا الرجل آمَن بالإسلام ودعوته، وأحَبَّ مِن صَدْرِ حياته أن يكون من الذين قال الله فيهم: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ**﴾ [فصلت: 30]

وحين توفي الإمام الخضر كتب وصيّة بأن يدفن إلى جوار وفيّه وزميله أحمد تيْمور باشا، بمدافن الأسرة التيمورية عند الإمام الشافعي في القاهرة.

فرحمه الله رحمة الأبرار.. وأسكنه جنات تجري من تحتها الأنهار.

وثيقة زيتونية

حوار مع فضيلة الشيخ أحمد الشريف رحمه الله الامام الأول لجامع الزيتونة المعمور [1]

يعتبر الشيخ أحمد الشريف الذي ندخل عالم مكتبته اليوم أحد اهم الائمة الخطباء بتونس فبالاضافة إلى كونه سليل اسرة علمية تولى معظم افرادها مهمة الخطابة بجامع الزيتونة المعمور فهو يخطب بالمساجد الجامعة التونسية منذ سنة 1971م حين تولى الخطبة بمسجد سيدي بوسعيد (من ضواحي تونس العاصمة) ثم عين سنة 1982 م بقرار من الوزير الاول خطيبا بجامع الزيتونة

ولا يقتصر نشاط الشيخ الشريف على الخطبة بجامع الزيتونة، برغم اهميته تلك المسؤولية لما لجامع الزيتونة من دور تاريخي هام بل شمل نشاطه الديني عدة مجالات فهو:

- عضو بالمجلس الاسلامي الاعلى بتونس
- رئيس مجلس الشورى الدينية ببلدية تونس
- عضو الرابطة العالمية لائمة خطباء الجمعة
- شيخ مشايخ جامع الزيتونة

وقد قلده رئيس الدولة الصنف الثالث من وسام الجمهورية نظرا لخدماته الدينية الجليلة

***السؤال:** تبرز كتب التاريخ التي تحدثت عن جامع الزيتونة والتي تضم بعضها مكتبتك ان الخطبة بجامع الزيتونة انحصرت بعائلتكم هل لك ان تبرز لقراء الجزيرة هذا التسلسل التاريخي؟

(1) نشرته جريدة الجزيرة السعودية

– أنا سليل أسرة لها نسب بالصفوة السنية والعطرة النبوية، تولت مهمة الامامة بالجامع المعمور منذ عهد حمودة باشا (1220 هـ ـ 1810م) الذي اختار لمهمة امام الجامع المعمور بعد البكريين كاتبه المقرب اليه المنعم عبد الكبير الشريف، وقد استكتبه الامير اولا ثم اولاه الامامة وتولى الافتاء سنة 1227 ه وانتفع بعلمه العديد من المشايخ من اهمهم الشيخ ابراهيم الرياحي

ومنذ ذلك العهد إلى يومنا هذا استمرت امامة جامع الزيتونة في اسرة الشريف ولم يتوقف التسلسل الا في ثلاث حالات وهي امامة الشيخ ابراهيم الرياحي، وامامة الشيخ صالح النيفر، واخيرا امامة الشيخ البشير النيفر

المسار العلمي :

***هل يمكننا القول ان ذلك الجو الديني الذي نشاتم فيه وتلك الكتب كان لهما تاثيرا في مساركم العلمي والمعيشي ؟**

– بالتأكيد ويبرز ذلك التاثير من خلال مسيرتي العلمية فقد بدات دراستي بكتاب «**حوانت عاشور**» (من الاحياء العتيقة بتونس العاصمة) ثم واصلت التعليم بمدرسة خير الدين باشا إلى ان تحصلت على الشهادة الابتدائية (عربية فرنسية) ومنها انتقلت إلى سلك التعليم الزيتوني وواصلت تعليمي به إلى ان احرزت على شهادة العالمية في الشريعة واصول الدين (أعلى شهادة علمية بجامع الزيتونة وتسند إلى صاحبها بعد عشر سنوات دراسة) بعد ذلك شاركت في مناظرات التدريس بجامع الزيتونة وحصلت على لقب مدرس في العلوم الشرعية والعربية وقمت بمهمة التدريس بجامع الزيتونة من سنة 1951 م إلى سنة 1959 م السنة التي نقل فيها التعليم الزيتوني إلى الجامعة عوض الجامع بعد ذلك انتقلت إلى تدريس مادة العلوم الاسلامية بالمعاهد الثانوية التونسية ومارست تلك المهمة إلى عام 1976م ومنذ ذلك الحين خيرت الالتحاق بالشركة التونسية للتوزيع (من اكبر دور النشر التونسية انذاك) حيث قمت بمهمة مراقبة ما يقدم اليها من مؤلفات والنظر في مدى صلاحيتها للنشر

***تضم مكتبتكم مجموعة من المخطوطات فما هي اهمها في نظركم؟**

–من اهم المخطوطات التي تضمها مكتبتي يمكن ان اذكر لكم ثلاث:

– لي مخطوط بخط يد الجد احمد الشريف الذي تولى رتبة باش مفتي –المخطوط– عبارة عن جزئين من صحيح مسلم

– تعليق على رسالة ابن ابي زيد القيرواني وهو مخطوط لعلي ابي الحسن المالكي

– مخطوط كشف الاسرار عما خفي من الافكار لشهاب الدين ابي العباس

***هل كانت لكم زيارات للملكة العربية السعودية؟ وهل زودتم مكتبتكم ببعض الكتب من المملكة؟**

كانت اول زيارة لي للملكة عام 1972 م حيث اديت فريضة الحج ولقد اقتنيت انذاك مجموعة من الكتب في الاحاديث والتفاسير خاصة ثم عدت إلى المملكة سنة 1990 م حين تم تعييني ضمن الوفد الرسمي للحجيج التونسيين وكنت وقتئذ مشغولا بالتوجيه الديني للحجيج مما منعني من الاطلاع على الاجواء الثقافية بالمملكة وارجو ان تتكرر الزيارات للمملكة نظرا للقيمة الاسلامية والتاريخية لتلك الديار العزيزة على كل مسلم غيور

***وهل زارتكم وفود سعودية بجامع الزيتونة؟**

زارتنا عدة وفود سعودية بجامع الزيتونة وكانت لنا حوارات هامة معها ومن اهم تلك الزيارات زيارة صاحب السمو الملكي الامير سلمان بن عبد العزيز امير منطقة الرياض، الذي اطلع على نظام جامع الزيتونة ووجدنا منه كل الحفاوة والتشجيع لما يقوم به جامع الزيتونة من اعمال تدعم الاسلام وتخدمه

***انتم الان تحتلون رتبة شيخ مشايخ جامع الزيتونة، فيم تتمثل مهمتكم بالضبط؟**

مهمة شيخ المشايخ هي بالتحديد تتمثل في تنظيم شؤون الجامع اضافة إلى الخطبة فالجامع في وقت سابق كانت شؤونه شبه منحلة، وكان بعض القراء فيه يتقاضون اجرا دون حضور،اما اليوم فقد اصبح هناك مواظبة على الحضور كما اصبحت هناك تلاوة جماعية يومية متواصلة للقران الكريم بجامع الزيتونة وقد توجهت عناية رئيس الجمهورية التونسية بان جعل التلاوة المباركة بارجاء الجامع المعمور ليلا ونهارا بدون انقطاع لمدة 24 ساعة

المواد العلمية في جامع الزيتونة

***تعددت الكتب التي يدرسها الطالب الزيتوني في الفترة التي درستم فيها ما هي اهم الكتب التي تاثرتم بها؟**

– ان الكتب التي كانت تدرس في جامع الزيتونة كانت متنوعة حسب المواضيع والمواد التي يدرسها الطالب فهي تنقسم الى: مواد شرعية (التفسير والحديث والفقه) وادبية (كاللغة والبلاغة وكتب الادب الجاهلي والمعاصر شعرا ونثرا) وقد تفاعلت خاصة مع الكتب الشرعية التي تتعلق بالتوحيد والتفسير والعقائد ولا ازال اتذكر إلى

اليوم كتاب «العقائد النسفية» الذي درسناه على العلامة الشيخ محمد الفاضل بن عاشور رحمه الله الذي عمقه بعلمه وسعة اطلاعه كمااستعنا على تلك المواد بحفظ المتون في شتى الاختصاصات

متون مراحل التعليم الزيتوني

***على ذكر المتون كان التعليم الزيتوني يرتكز في الاساس على مجموعة من المتون في شتى الاختصاصات فما هي اهم المتون التي درستموها طوال فترة دراستكم بالجامع الاعظم؟**

– المتون التي كانت تدرس في مختلف مراحل التعليم الزيتوني والتي احتفظ ببعضها في مكتبتي هي:

–في التوحيد: متن الجوهرة والخريدة البهية

– في الحديث: البيقونية وهو متن صحيح وهو من نظم العلامة الصبان

– في الاصول: متن جمع الجوامع

– في الفرائض: متن خلاصة الفرائض

– في النحو والصرف: متن الاجرومية، ومتن الالفية، ومتن لامية الافعال

– في المنطق: متن الايساغوجي

– في البيان والمعاني والبديع: متن السمرقندية ومتن ملحمة البيان للشيخ الزين المرصفي، ومتن الجوهر المكنون

– في الرسم: منظومة العالم محمد البالاوي

– في العروض والقوافي: متن الكافي في علمي العروض والقوافي

– في الفقه: متن العاصمية

– في المديح: متن البردة ومتن الهمزية

– يحتوي كل متن من هذه المتون على شروح وتعليقات، وتقرا على مراحل منها ما يدرس منذ اول العام ومنها ما يدرس بعد سنوات من التعليم الزيتوني ومنها ما يعتبر حفظه من الشروط الاساسية لدخول الطالب إلى جامع الزيتونة.

***ما دمتم تتحدثون عن المتون وتوزيعها حسب المراحل، فما هي اهم مراحل التعليم الزيتوني؟**

ـ من الاشياء المميزة في مراحل التعليم الزيتوني ان الدرجات كانت تسمى باسماء الكتب التي تدرس فيها وقد كان التعليم الزيتوني في مجمله ينقسم إلى ثلاث

مراحل:

ـ المرحلة الاولى: يقضي فيها الطالب اربع سنوات يتحصل عل اثرها الطالب على شهادة «الاهلية»

ـ المرحلة الثانية: تدوم ثلاث سنوات يتحصل في اخرها الطالب على شهادة التحصيل

ـ المرحلة الثالثة: وتدوم ثلاث سنوات يتحصل في اخرها الطالب على شهادة العالمية وبها يستعد للمشاركة في المناظرات الزيتونية التي تخول التدريس بجامع الزيتونة

حفظ المتون

***في وسط هذه الاجواء العلمية كيف كان اقبال الطالب الزيتوني على الكتاب في الفترة التي عاصرتموها؟**

– كان اقبال الطلبة الزيتونيين كبيرا على الكتب وهو امر طبيعي اذا علمنا ان الطالب لا يدخل الجامع الا بعد حفظ مجموعة من المتون، التي عادة ما تكون مدخلا لتوثيق صلة الطالب الزيتوني بالكتاب

من ثمار التنافس

***كيف كان يقع تزويدكم بالكتب في تلك الفترة؟**

–كانت هناك مكتبة بالجامع الاعظم تمد الطلبة بالكتب والمراجع الضرورية، كما كانت هناك مكتبات اخرى بالقرب من الجامع تبيع الكتب ويقبل عليها الطلبة من ذلك مكتبة جامع الزيتونة، ومكتبة العصفورية (نسبة إلى حي تونسي عتيق) لقد كان هناك حركية وتنافس كبيرين بين طلبة جامع الزيتونة انطلاقا من ايمانهم انه «**من يرد به الله خيرا يفقهه في الدين**»

مجالات الادب والثقافة

***في فترة دراستكم صدرت بتونس وباقطار اخرى من العالم الاسلامي مجموعة من المجلات ومنها ما اصدره الطلبة الزيتونيون ذاتهم فهل كانت تلك المجلات تشغلكم عن الكتاب ام ان شغلكم بالكتاب لم ينقطع؟**

– اتذكر جيدا مجلة «شمس الاسلام» للشيخ محمد الصالح ابن مراد، وصحيفة صوت «الطالب الزيتوني» وقد كانت تاتينا مجلات من المشرق من ذلك مجلة «الثقافة» لاحمد امين، ومجلة «الرسالة» لحسن الزيات» وكانت متداولة بكثرة

في صفوف طلبة الجامع، وقد كنت من المواظبين على مطالعتها، ولها الفضل في تكويني الادبي، ولا زلت احتفظ بنسخ منها إلى الان، كما كانت هناك مجلة شديدة التداول، هي «المجلة الزيتونية» للعلامة الشيخ الفاضل بن عاشور والعلامة الشيخ محمد المختار بن محمود، وان اهتمام الطلبة بتلك المجلات لا يعني انشغالهم عن الكتب بل كان هناك تكامل بينهما

خصائص خطبة جامع الزيتونة

***انتم تتولون الخطبة بجامع الزيتونة منذ اكثر من عقد، وهي مسؤولية جسيمة نظرا لقيمة الجامع الدينية والتاريخية وتتطلب خطبة جمعية هامة في مستوى تلك المسؤولية، فما هي اهم الكتب التي ترجعون اليها عند اعداد خطبتكم؟**

– **شجرة** النور الزكية في طبقات المالكية للامام مخلوف اضافة إلى كتب اخرى في التفاسير والاحاديث اعود اليها باستمرار عند اعداد الخطبة

اغراض الخطبة

*واكبتم خلال عقود متعددة اطوار مختلفة مرت بها **الخطبة بجامع الزيتونة، فما الذي تغير بين خطبة الامس وخطبة اليوم؟**

– كانت الخطبة فيما مضى في الزيتونة كغيره من المساجد خطبة تقليدية يتوارثها الائمة عن بعضهم البعض، اما اليوم فقد اصبحت الخطبة مسايرة لظروف المجتمع والعصر كي يساهم الامام من موقعه في تنمية المجتمع وهو الغرض الاساسي الذي وحدت من اجله خطبة الجمعة، فهي يجب ان تكون اميل إلى معالجة المشاكل الاجتماعية وتوجيه المسلمين الوجهة الصحيحة وتبتعد عن المنمقات اللفظية الفارغة من اي مضمون والتي ميزت الخطبة في عصور انحطاط المسلمين

احجام الزيتونيين عن التاليف

***مما يعاب على مشايخ الزيتونة انهم مقلون في تاليف الكتب إلى ماذا ترجعون ذلك؟**

– في احدى المراحل التاريخية سادت بتونس عقليات تعمد إلى عدم تشجيع الرجل الزيتوني لا ماديا ولا معنويا ...وبل في بعض الاحيان يفضلون غير الزيتوني حتى وان كان اقل علما ...وهي ممارسات تدفع الزيتوني إلى الانكماش على نفسه. وهي في رايي من الاسباب الرئيسية التي جعلت الزيتونيين يحجمون على التاليف

شبه مذكرات

***هل لكم مشاريع كتب مستقبلية؟**

– اعتزم نشر كتاب شبيه بالمذكرات، يشرح الظروف التي تقلبت فيها منذ ان بدات التدريس بالجامع الاعظم إلى اليوم

***ما هي اهم الكتب التي تؤرخ لجامع الزيتونة وتضمها مكتبتكم؟**

– من اهم تلك الكتب نجد كتابين هما:

– جامع الزيتونة: المعلم ورجاله لمؤلفه محمد العزيز عاشور

– جامع الزيتونة: مسامرات الظريف بحسن التعريف، لصاحبه محمد بن عثمان السنوسي وقد حققه وعلق عليه الشيخ الشاذلي النيفر

اقرب الكتب اليك؟

***لو طلبنا منكم ان تختاروا لنا من مكتبتكم ثلاثة كتب هي اقرب اليكم فماذا تختارون؟**

– القران الكريم اولا – كتاب حكمة التشريع وفلسفته للجرجاني – وكتاب في الادب«الايام» لطه حسين وغيرها من الكتب الادبية

نقشة

لماذا تبخلون على هذه المطبوعة بالدعم؟؟؟

كتب اليوم في «الصريح اونلاين» الصديق صالح الحاجة مشكورا نقشة تحية منه لمجلة جوهر الاسلام نعيد نشرها (أهداني صديقي محمد صلاح الدين المستاوي اليوم العدد الجديد من مجلته الصامدة. جوهر الاسلام. وانا اتصفح هذا العدد اشفقت مرة اخرى على الصديق العزيز.

اشفقت عليه لان تحمل اعباء اصدار مجلة في هذا الزمن فوق طاقة الفرد ولكنه الغرام والدودة والمحنة الله لا يجازبهم خير»...

ولا يعرف الشوق الا من يكابده. ولسائل ان يسأل: ما ضر لو اشترت وزارة الشؤون الدينية ووزارة الثقافة وو زارة التربية والالكسو وغيرها من المؤسسات كمية منتظمة من هذه المجلةا لراقية؟ الا تستحق مطبوعة كهذه الدعم الذي يساعدها على ا لصمود والإستمرارية والانتظام في الصدور وبالتالي نفع الناس).

شكرا جزيلا للصديق الشفوق صاحب الصريح الاخ صالح الحاجة على مشاعره ولا يعرف الفضل الا ذووه والشيء من ماتاه لا يستغرب.

مفاهيم إسلامية

كل المجالات يحترم فيها الاختصاص إلا الدين

بقلم الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله

لو بحثنا عما يحدث بين الناس من خلافات ومجادلات وخصومات لرأينا أغلبه ناشئا عن عدم استيعاب للحديث وإحاطة بظروفه ومغازيه ومقاصده. أو عن سوء تأويل للمقصد الذي يقصده صاحب الكلام أو صاحب المقال وبسبب هذا التسرع في إصدار الأحكام واستخلاص النتائج كثيرا ما تنجم خصومات حادة ومجادلات بيزنطية فارغة يقحم فيها كثير من الأجنبي عنها ويتحمس لها من ليس له ناقة ولا جمل فيها.

ولو قدر جميع الناس مسؤولياتهم وصانوا ألسنتهم عن فضول الكلام وعقولهم عن الاهتمام بما لا يجدي لما وقعوا في ما لا تحمد عقباه من أمور هي إلى العبث اقرب منها إلى الجد وقد قيل: **أفعال العقلاء تصان عن العبث،**

ومما يزيد الطين بلة ويجعل الجدل لا نهاية له ولا يرتكز على أساس من المنطق والحكمة والاتزان ما عمت مصيبته بين الخاص والعام من عدم اعتراف بالتخصص وعدم إدراك لحدود الإمكان، وهذه المصيبة الثانية اكبر من أختها وكم يستفحل الخطر إذا انضمت الثانية إلى الأولى وكونتا مع بعضهما مركبا عريضا وادعاء واسعا فان أبواب النقاش آنئذ توصد مسبقا وان الأمل في الاقتناع يصبح ميؤوسا منه تماما،

إن عناوين الأشياء لا تكفي أبدا لتكوين رؤية واسعة تخول لصاحبها أن يتكلم في كل ميدان وان يسابق في كل رهان فالأديب الذي صرف معظم أوقاته وطاقته في

التنقل بين رياض الأدب والتمرس على أساليبه المختلفة وضروبه المتنوعة فلا يجد من العبقرية والوقت ما يكفيه ليصبح مختصا في القانون أو أستاذا في الفيزياء أو عالما في أصول الشريعة أو طبيبا يعالج أمراض الناس،

نعم قد تسمح له عبقريته بأن يكون له نوع من المشاركة يجعله يستطيع المفاضلة بين أمرين أحاط بكل منهما وذكرت دلائله ومؤيداته أما أن يصبح صاحب قول فيه يرجع إليه الناس عند الاختلاف فهذا أمر نادر الحصول إن لم يكن مستحيلا

ولقد استطاع أهل كل فن من الفنون أن يقدر لهم الناس اختصاصهم فيه وان يعترفوا لهم بكونهم مراجع ومصادر لا يفتى بمحضرهم ولا يستهان بتفننهم وتخصصهم فيه.

ولم يحرم من التمتع بهذا الحق الشرعي إلا أهل الاختصاص الديني فلقد أبي عليهم الخاصة وحتى العامة أن يمارسوا ميزتهم وفنهم المختص ممارسة بعيدة عن المضايقة وغمط الحق والمكابرة فيه.

لست من الذين يدعون أو يعتقدون إن رجال العلم الإسلامي هم رهبان أو كالرهبان لان الإسلام جاء ينفي الرهينة واحتكار الدين والتصرف فيه حسب المشتهيات والأهواء فانا من الذين يعتقدون اعتقادا جازما، بل ومن المتحمسين إلى مشاركة رجل التخصص الديني في جميع متطلبات الحياة واعتقد أن الذين لا يأخذون نصيبهم من كل شدائد الحياة ومتاعبها وتضحياتها هم ابعد الناس عن روح الدين ولو تزيوا بأزيائه ولبسوا لبوسه، وليس للدين لباس خاص.

إن رجل الإسلام الحق هو ذلك الذي يعطي من نفسه ومن سلوكه الشخصي صورا صادقة عن الإسلام، بيد أن هذه الحقيقة السلوكية والعملية لا تزاحم أبدا تلك الحقيقة العلمية التي تستدعي تخصصا وتضلعا ودراسة وتمحيصا لان الدين ليس كلمة جامعة ولا عبارات مختصرة بل هو مجموعة من الأحكام والأسرار تضمنها القرآن الكريم وهو بحر خضم من العلوم التي تتعلق بألفاظه ومعانيه وأحكامه، وتضمنتها السنة النبوية أيضا وللسنة متون وأسانيد وعلوم يضيع في جمعها الشباب وينفق في سبيل الإحاطة بها العمر، يضاف إلى هذين الأصلين الأصيلين ما امتلأت به كتب الفقه وأصوله والسيرة النبوية الطاهرة من علوم وفنون وأسرار وكل هذه العلوم لا يحيط بها ولا يتضلع فيها إلا من بذل المجهود ووطن النفس على تحمل المشاق،

فهل من العدل والمعقول أن ينكر احد عليه اختصاصه؟ أو أن يطاوله مطاول فيها غيره من المزاحمين والمدعين؟!

لقد عانى الإسلام وحملته ودعاته منذ فجره المبكر من تجني المتجنين وتجاهل المتجاهلين حتى أصبح الاختصاص فيه في بعض الأحايين لا يساوي اختصاص صناعة من الصناعات وليس الذنب في حقيقة الأمر على المتجنين أو المتجاهلين وحدهم بل إنه محمول على رجال الإسلام أنفسهم لأنهم تهاونوا بالدين ولم يصونوه عن الابتذال فأصابهم ما أصيب به الإسلام ولقد صدق من قال:

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه في النفوس لعظم

لقد ردد الناس آية قرآنية في مقامات كثيرة واستعملوها كلما أرادوا أن يرجعوا إلى أصحاب فن يستشيرونهم فيه هذه الآية هي قوله سبحانه وتعالى: «**فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون**» ومما يؤسف له أن الآية أصبحت تستعمل عند كثير من إخوتنا فيما قيس على معناها الأصلي قياسا أما المعنى الأصلي الصريح الذي جاءت نصا فيه فإنهم يأبون أن يحملوها عليه فالذكر هو اسم من أسماء القرآن وأهل القرآن وعلماء القرآن هم علماء الشريعة الإسلامية الذين اختارهم الله واصطفاهم ليكونوا ورثة وحيه وحفظة كتابه والمفسرين لأحكامه وعلومه، إنهم أولئك الذين قال الله تبارك وتعالى في حقهم (**فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون**) فهذا النفير وذلك التفقه الذي هو نوع من التخصص والتعمق والتبحر لم يكونا أبدا في متناول جميع الناس بل إن الأقدار الإلاهية انتدبت لهذا الغرض النبيل من اختارهم االله ليكونوا ورثة أمناء لأنبياء الله ورسله عليهم السلام يتعلمون عنهم ومنهم ما انزله الله عليهم من وحي وبذلك يصبحون الورثة الشرعيين لخيار الخلق وهداة الأنام عليهم الصلاة والسلام ولقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال في هذا المعنى: «**العلماء ورثة الأنبياء**).

من أعلام المالكية
في تونس

علي بن زياد مؤسس المدرسة المالكية بتونس

بقلم الأستاذ أيمن القربي

هو أبو الحسن علي بن زياد العبسي التونسي عربي من قبيلة عَبْس كان بولادته ونشأته إفريقيًا صِرفا،ولد بمدينة طرابلس من القطر الليبي ثم انتقل إلى تونس فسكنها وكان استقراره بها في أوائل العهد الذي ظهرت فيه لهذه المدينة عظمتها في حياة المجتمع الإسلامي بإفريقية فكأنّ علي بن زياد قد دخل تونس بهَدي إلهي ساقه ليحمل الأمانة النورانية التي رُفِعَت أساطين جامع الزيتونة عليها بلغة العلامة محمد الفاضل ابن عاشور رحمه الله تعالى.

ويعود الفضل كلّه لابن زياد في تأسيس المدرسة التونسية وغيرها من المدارس بإفريقية سواء بالقيروان أو ببقية أمّهات المدن الأخرى فهو الذي شيّد هذا الصرح العلمي العظيم الباقي على الأيام رغم العوارض والكوارث والمناوئين... وهذه المدرسة التي وضع لبنتها علي بن زياد وشرحها للناس وبيّن قواعدها وأدخل مذهبها هي مدرسة مالك بن أنس المدني الفقيه الألمعي، إمام دار الهجرة وأحد كبار أتباع التابعين(93هـ/ 712م ـ 179هـ/ 795م) كان إماما في الفقه والحديث فَأثنى عليه العلماء وعدّدوا فضائله وخصاله، كان ثبتا صحيح الحديث، انتقى الرجال وأعرض عمن ليس بثقة... وبالعودة لابن زياد فقد رحل ينشد طلب العلم بين مصر والحجاز والعراق فأخذ عن مالك والليث بن سعد وسفيان الثوري إلا أنه اختص بمالك بن أنس اختصاصا زائدا فتخرّج عليه في فرعي إمامته: الحديث والفقه وروى عنه الموطأ ودَارَسه الفقه واستكشف أصوله الإجتهادية بما لم يسبق إليه أحد قبله، حتى قال أصحاب مالك الأولين:» ما طرأ علينا طارئ من بلد من البلدان كشف مالكا عن الأصول كَشْف علي بن زياد». ورجع إلى تونس فكان أول من أدخل إليها الموطأ(لم يلق كتاب من العناية ما لقي موطأ مالك فقد اتفق أهل النقل قاطبة على صحة هذا الكتاب ويكفيه شهادة الإمام الشافعي وهو من تلامذة مالك إذ يقول: «ما على ظهر الأرض كتاب بعد كتاب الله تعالى

أصحّ من موطأ مالك»...)

وانتصب بن زياد يُدرّس الفقه ويفسّر أقوال مالك بالتوجيه والتأصيل فطار صِيته وسطع نجمه وعَلا كعبُه في كامل البلاد الإفريقية وضربت سمعته ما بين أسوار القيروان فملأتها... وكان البهلول بن راشد(128هـ / 746م ـ 183هـ ـ 799م) يأتي لابن زياد من القيروان إلى تونس ويسمع منه ويَفزع إليه في المعرفة ويُكاتبه ويستفتيه وأقبل الناشئون من طلبة العلم بالقيروان يشدّون الرحلة إلى تونس للأخذ عن علي بن زياد يسمعون الموطأ ويتفقهون على مذهب الإمام مالك بن أنس وطريقته، فكان من الذين رَوَوْا الموطأ عن بن زياد، عن مالك، أسد بن الفرات(142 هـ/ 759م ـ 213 هـ/ 829م) وأبو سعيد عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخي المعروف بالإمام سحنون (160هـ/ 777م ـ 240 هـ/ 854م) وهو القائل في شأن أستاذه ومعلمه ابن زياد: (« ما أنجبت افريقية مثل علي بن زياد).. فهو يُفضله على كل من أخذ عنهم لأنّ أخذه كان أولا عن علماء افريقية ثم عن علماء مصر ولا يقدّم عليه أحدا من شيوخه ويراه لا نظير له في كل من رآهم.

وتجدر الإشارة إلى أن رواية علي بن زياد للموطأ بقيت منها قطعة نفيسة عُثر عليها بالمكتبة العتيقة بجامع عقبة بالقيروان والقطعة المتبقية تُعدّ من أثمن ما وقع الظفر به اعتبارا لطول الفترة الممتدة بين عصرنا وزمن نسخها وهي مكتوبة على الرقّ بخط قيرواني عتيق من القرن الثالث قام المغفور له فضيلة الشيخ العميد محمد الشاذلي النيفر رحمه الله بتحقيق هذه القطعة ووضع مقدمة علمية لها معرّفا بصاحبها .. كما لا يفوتنا أن نذكر أنّ علي بن زياد هو أول من كتب الفقه والفتاوى التي تكلم بها مالك بن أنس، فأقبل على تصنيف المسائل وتبويبها وخرّجها كتبًا كتبًا على مواضيع الأحكام الفقهية وسمّى جملة الكتاب بذلك الإسم الطريف الذي يُعَنْوِن عمّا له عنده من النفاسة وماله من الإعجاب فسمّاه « خير من زنته» ، وأقبل أسد بن الفرات وسحنون وغيرهما يتلقون عن بن زياد ما تضمنه كتابه من المسائل والأحكام ففسّر لهم الأقوال وقرر لهم المعاني بما انفرد به في ذلك حتى تفقه كلاهما وتطلّعا إلى الإستكمال وورود الماء من عينه بالرحلة إلى المشرق والسماع من مالك مباشرة فكان أسبقهما إلى الرحلة أكبرهما وهو أسد بن الفرات أما سحنون فرحل إلى مصر وأقبل على ابن القاسم المالكي.

وبهذا يتبين ما كان لعلي بن زياد من فضل في تأسيس المدرسة المالكية التي أصبحت مغربية بالتدوين والتفريع وإن كانت مدنية بالتأسيس والتأصيل بلغة العلامة محمد الفاضل ابن عاشور رحمه الله ،ولو أنّ مالكا رُزِق بمثل بن زياد في الشرق لعمّت المالكية المشرق مثلما عمّت المغرب فهو الرجل الأول الذي كيّف العقول بالسنّة الصحيحة والمُرشد إلى التفقه في الدين، فبه انفتحت العيون إلى عالم المدينة مالك بن أنس الذي تُضرَب إليه أكباد الإبل.

هل أدلكم على تجارة رابحة

يكتبها صالح الحاجة

من الأسماء العظيمة التي ارتبطت في ذهني بشهر رمضان المعظم..شهر القرآن الكريم الذي أنزله الله قرآنا عربيا مبينا.

من هذه الأسماء اسم المقرئ الشيخ عبد الباسط عبد الصمد. إنني أستمع إليه بكلّ ما لدي من جوارح.. أصغي له بقلبي وأصغي له بمشاعري.. وأصغي له في رمضان أكثر..

ولكنني أعيش معه طوال أيام وليالي العام. وفي كل مرة أجد نفسي مبهورا ..مفتونا.. معجبا..

إن سعادتي لا توصف وانا في حضرته وهو يجوّد.. ويتلو .. ويقرأ..

وأطلب من العزيز الحكيم أن يغفر لي عندما اقول كثيرا: إن عبد الباسط صوت من السماء.. ومعجزة إلاهية ..ويزيد القرآن الكريم حسنا وجمالا وروعة ..

اللهم اغفر لي ..إن أنا أخطأت ..أو تجاوزت قدري..

أما عندما اصغي اليه وهو يتلو سورة «الرحمان» فإنني لا أعرف ماذا يحدث لي ومعي..

قد اغيب عن الوعي..

قد اخرج من هذا الكون

قد أسافر..

قد أقطع مع كل ما هو حولي

ثم اغرق في بحر من الدموع

إنني أسبح في بحر لا أعرف كيف أصفه ..

إنها ذنوبي ..تحاصرني وتواجهني..وتهزّني وتعصف بي ..حتى اشعر برعشة..وتاخذني رعدة..وأنهار ولا أخرج من هذه الحالة إلا بصعوبة شديدة. إن عبد الباسط يفعل بي ما لا يفعله سواه.

إنه يأسر الروح ويدفع بها إلى التحليق في عوالم عليا لا نفقهها ولا ندركها ولا نعلمها فنتيه فيها فاقدي الألباب.

ذات مرّة كنت في سوق شعبي بمسقط عاصمة عمان صحبة الشاعر الراحل محي الدين خريف وسمعت عبد الباسط يقرأ : إنا أنزلناه في ليلة القدر .. وما أدراك ما ليلة القدر.. ليلة القدر خير من الف شهر .

وما إن سمعته حتى انفجرت بالبكاء ..وسقطت على الأرض..وفقدت القدرة على الحركة..وغبت عن الوعي تماما. وعندما استرجعت وعيي وجدت نفسي على الفراش بغرفتي بالفندق.

لقد تولى الشيخ محي الدين خريف والسائق والمرافق إسعافي ونقلي إلى الفندق. إن صوت عبد الباسط يفعل بي ما لا أقدر على وصفه ..أو تفسيره..أو حتى الحديث عنه.

إنه قرآن كريم عظيم ..بليغ..فصيح..بديع ..وأحلى من الشهد.. وبه تطمئن القلوب.. وتهدأ النفوس.. وتستقر المشاعر.

والشيخ عبد الباسط بما اعطاه الله من موهبة ..يأخذك من قلبك لا من يدك برفق ويتقدم بك رويدا ..رويدا من مائدة القرآن الكريم ويساعدك على أن ترى بصورة أوضح ما فوق تلك المائدة من ثمار وفاكهة وجمال وسحر حلال.

رمضانكم مبروك.

ولكن هل أدلكم على تجارة رابحة في هذا الشهر الكريم؟.. نصيحتي لكم ولنفسي إذا جاز لي أن انصحكم:

ليكن رفيقكم في هذا الشهر الكريم المرتّل صاحب الصوت السحري الرخيم الشيخ عبد الباسط عبد الصمد

إنه خير رفيق.. وأروع من يدلكم على أعظم وأحلى وأغنى مائدة في هذا الوجود. مائدة القرآن الكريم.

فكلوا منها..واشربوا هنيئا مريئا بإشراف هذا المقرئ العظيم

اجعلوه دليلكم الذي يدلكم على مواطن الخير والجمال والجلال.

بسم الله الرحمان الرحيم **﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾**

صدق الله العظيم

qu'il faut la réciter à voix basse. Chaque option possible se retrouve donc dans l'une ou l'autre école, et parfois plusieurs avis cohabitent dans une même école.

Le premier avis concernant ces deux points insiste sur la conformité à la pratique prophétique (*ittibâ'*), puisqu'on rapporte que le Prophète récitait parfois la *basmala* avant la sourate *Al-Fâtiha*, parfois il ne la récitait pas. Chaque *mujtahid* a retenu la pratique prophétique dont il a eu connaissance. Il y a dans la pratique prophétique matière à prescription religieuse tant pour l'élite spirituelle que pour les autres, parmi les gens de dévoilement spirituel et ceux qui ne bénéficient pas d'un tel dévoilement. Ainsi, pour celui qui, au moment d'entrer en prière, bénéficie d'un dévoilement spirituel, et se trouve dans un état de contemplation de la Réalité divine, il ne convient pas de mentionner le Nom divin, car une telle évocation sert à ceux qui sont encore voilés à Dieu. En revanche, celui qui ne bénéficie pas d'une telle contemplation doit invoquer le saint Nom de Dieu afin de se rappeler par là le Nommé. « Si tu ne Me vois pas, attache-toi à Mon nom », dit Dieu, d'après certaines inspirations des maîtres. Nous en concluons que celui qui Le voit avec son cœur n'a pas l'obligation de L'invoquer. […] J'ai toutefois entendu mon frère Afdal al-Dîn dire que « l'invocation par la langue est une règle qui vaut aussi bien pour les saints que pour les autres, car le voile de l'Infinité divine n'est levé pour personne, pas même pour les prophètes. Le voile est toujours là. Seulement, il est plus ou moins fin selon les cas. » C'est là un enseignement précieux qu'on ne trouve dans aucun livre.

Sha'rânî conclut son propos sur cette question en citant un autre de ses maîtres, 'Alî al-Marçafî qui disait : « Le messager de Dieu récitait la *basmala* à certains moments et ne la récitait pas à d'autres moments, et ce, uniquement pour enseigner quelles règles s'appliquent aux faibles et aux forts de sa communauté. En effet, le Prophète était constamment dans la présence de son Seigneur. Il est le fils de la Présence divine, le frère de la Présence, l'imam de la Présence. »

Les réflexions lumineuses que nous livre Sha'rânî font partie de l'héritage sapientiel des maîtres du *taçawwuf* comme des grands imams de la jurisprudence, dont les enseignements, nous dit-il, sont tous issus de la trame de Sharî'a pure, la Loi sacrée qui dans son essence ne fait qu'une avec la *Haqîqa*, la Réalité spirituelle. Ces quelques aperçus sur la balance exposée par Sha'rânî ne rendront qu'imparfaitement la subtilité et la complexité d'une doctrine qui mêle la rigueur des raisonnements juridiques du fiqh à la profondeur des intuitions spirituelles du soufisme ; d'autant plus que l'enseignement dont il s'agit relève d'une inspiration ésotérique, par nature inaccessible à la simple approche rationnelle ou à l'étude livresque. Ils ont aurons néanmoins permis, nous l'espérons, d'entrevoir plusieurs déclinaisons possibles de la parole du Prophète selon lequel « les différences au sein de ma communauté sont une miséricorde » : miséricorde dans les différences inhérentes à l'ordre créé ; miséricorde dans les différences/convergences entre les imams et les écoles ; miséricorde dans la diversité des statuts légaux ; miséricorde dans la gradation entre *takhfîf* et *tashdîd* ; miséricorde dans la variété des aptitudes et des profils spirituels parmi les musulmans ; miséricorde dans la distinction entre la Voie et la Loi, entre ésotérisme et exotérisme.

A travers cette grille de lecture, Sha'rânî essaie de démontrer en quoi tous les jugements prononcés par les grands imams sont justes et valables, manifestant « autant de rayons de la lumière de la Sharî'a pure ». Il ne se contente toutefois pas d'une évaluation, au demeurant fine, sur le plan de l'analyse juridique, mais il justifie également son interprétation et sa répartition d'un point de vue ésotérique, en indiquant la signification spirituelle des dispositions jurisprudentielles avec le symbolisme propre à la pratique exotérique. Il cite souvent à cet égard des enseignements de maîtres du soufisme, en particulier ceux de 'Alî al-Khawwâç dont il fut le disciple privilégié.

Afin de mieux saisir les principes de la balance de Sha'rânî, nous nous contenterons de donner ici deux exemples significatifs, tirés du chapitre consacré à la prière rituelle, qui illustrent bien la méthode développée amplement par Sha'rânî dans son *Mîzân al-kubrâ*. Le premier exemple concerne la fameuse divergence portant sur la façon dont l'orant doit placer ses mains au début de la prière canonique, lorsqu'il se trouve en position debout pour réciter le Coran. Comme pour chaque divergence étudiée, Sha'rânî commence par dire : « Cette question doit être rapportée aux deux niveaux de la balance », avant de présenter ensuite son interprétation.

Les imams sont d'accord pour considérer qu'il est fortement recommandé (*istihbâb*) de placer la main droite sur la main gauche lorsqu'on est en position debout. Cependant, Mâlik a dit, selon l'avis le plus connu qu'on rapporte, que l'orant devrait laisser ses bras et ses mains le long du corps. Selon al-Awzâ'î, en revanche, l'orant a le choix entre les deux solutions. Le premier avis est plus rigoureux (*mushaddid*), les autres plus allégés (*mukhaffif*), cet allégement comportant lui-même, ici, plusieurs degrés. Le premier avis s'explique, d'un point de vue intérieur, par le fait que la position debout avec la main droite sur la main gauche représente la station du serviteur devant son Seigneur, il est donc destiné à l'élite (*al-akâbir*) parmi les savants et les saints, à la différence des croyants de moindre niveau spirituel (*al-açâghir*). Pour ces derniers, le mieux est qu'ils relâchent leurs bras le long de leur corps, comme le préconise Mâlik. En effet, le fait de poser la main droite sur la main gauche requiert une certaine attention qui occupe l'esprit et empêche ainsi de prendre pleinement part à l'entretien intime avec Dieu, ce qui constitue l'esprit même de la prière rituelle et sa réalité profonde. A l'opposé, laisser ses mains le long du corps permet de libérer l'esprit et de jouir pleinement du colloque divin.

Le second exemple concerne l'obligation de réciter ou non la *basmala*, c'est-à-dire la formule *bismillâh al-rahmân al-rahîm*, au début de la sourate *Al-Fâtiha* qui doit être récitée dans la position debout initiant la prière rituelle. Selon l'école malékite, la *basmala* ne faisant pas partie de la sourate *Al-Fâtiha*, il est préférable de ne pas la réciter, et de commencer directement la récitation par le verset *al-hamdulillâh rabbi-l-'âlamîn*. Selon les écoles chafiite et hanbalite, au contraire, la *basmala* fait bien partie de la sourate *Al-Fâtiha*, et doit donc, à ce titre, être récitée. Puis ceux qui estiment qu'il est obligatoire de réciter la *basmala* divergent sur le fait de la réciter à haute voix ou à voix basse, lorsque la récitation coranique se fait à haute voix : Al-Shâfi'î dit qu'il faut la réciter à haute voix, Abû Hanîfa et Ahmad ibn Hanbal disent

les quatre imams *mujtahidûn*, autrement dit quant à savoir si tel acte donné, au regard de la Loi révélée, est jugé interdit (*harâm*), détestable (*makrûh*), licite/indifférent (*mubâh*), recommandé (*mustahabb*) ou obligatoire (*wâjib*). Il s'agit là des cinq catégories de statuts légaux (*ahkâm*) dans lesquels doivent s'inscrire, du point de vue de la science du fiqh, tous les actes du musulman. Il est important de souligner ici que, selon les « gens du dévoilement spirituel » (*ahl al-kashf*), c'est-à-dire les maîtres soufis, auxquels Sha'rânî se réfère constamment, le principe même des cinq statuts légaux, sur lequel s'accordent d'ailleurs les grands imams, est inscrit dans la Science divine. Si, aux yeux des maîtres spirituels, tout se résume en fin de compte à l'ordre et à l'interdit divins, dit Sha'rânî, ces différents statuts légaux ont été révélés sur terre comme une miséricorde particulière permettant une forme de gradation adaptée aux capacités diverses et variées des croyants. « Le fait que chaque groupe de cette communauté admette en particulier pour chaque situation un des statuts légaux de la Sharî'a prévus dans la Science divine constitue probablement pour chacun un moyen et une voie propres d'élévation spirituelle ; c'est peut-être également pour eux un moyen de préserver leur station intérieure des risques de déficience. »

Si la Loi sacrée prend en compte les capacités de chacun, sans « imposer à l'âme plus qu'elle ne peut supporter », toutefois, en matière de pratique religieuse, le musulman ne peut pas faire des choix motivés par des préférences personnelles, comme s'il pouvait décider selon son gré la règle qui lui convient. « Ce serait comme jouer avec la religion », dit Sha'rânî. L'adaptation providentielle prévue par la Sharî'a, telle que l'indiquent les deux niveaux de la balance, ne relève pas du bon vouloir de l'homme, mais d'une disposition nécessaire, d'un ordre sage, voulu par le divin Législateur. Le musulman doit avoir confiance dans les moyens de la Tradition, et respecter les limites et le fonctionnement d'un dispositif sacré qui a été établi dans son intérêt spirituel, même s'il en ignore les raisons profondes. Il lui revient uniquement de purifier ses intentions et d'œuvrer dans la mesure de ses capacités, comme le Coran et la Sunna le lui recommandent, car « les prescriptions religieuses n'ont d'autre but, rappelle Sha'rânî, que de favoriser l'élévation constante du musulman qui les observe comme il se doit. Nous sommes convaincu que ceux qui mettent en pratique les obligations religieuses imposées par Dieu ne cessent de s'élever spirituellement, à chaque souffle, car les dons divins sont infinis et incessants. »

Tout au long de son *Mîzân al-kubrâ*, Sha'rânî se donne pour tâche d'examiner et d'évaluer les doctrines et jugements respectifs des quatre imams concernant toutes les matières du *fiqh*. Chaque prescription religieuse est étudiée dans un chapitre dédié : il commence par présenter les quelques règles communes aux quatre écoles, faisant l'objet d'un consensus entre leurs imams fondateurs, puis il expose les divergences d'interprétation existant entre ces derniers concernant tel ou tel aspect de la pratique religieuse envisagée. Chaque jugement des *mujtahidûn* est placé dans un plateau de la balance, soit du côté du *takhfîf* (allègement) soit du côté du *tashdîd* (intensification), l'un et l'autre étant associé à la catégorie de croyants, faibles ou forts, qui lui correspond.

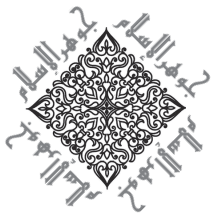

La sagesse de la Sharî'a selon la Balance Suprême de 'Abd al-Wahhâb al-Sha'rânî

par Abd-al-Wadoud Gouraud (1)

La Balance de Sha'rânî

Comme nous allons le voir plus précisément grâce la « balance » appliquée par Sha'rânî, les jugements des maîtres ne sauraient être contradictoires ni exclusifs les uns des autres. Ils se complètent mutuellement pour former un tout cohérent, représentant autant d'interprétations et d'applications possibles, mais jamais exhaustives, de la « Guidance divine », afin de correspondre de façon adaptée aux nécessités spirituelles et aux capacités de chaque croyant.

L'imam Sufyân al-Thawrî (m. 161/777), *mujtahid* parmi les soufis et saint parmi les jurisconsultes, avait l'habitude de rappeler à ses étudiants : « Ne dites pas que les savants divergent (*ikhtalafû*), mais plutôt qu'ils ont étendu les possibilités (*wassa'û*) en faveur de la communauté ! » En fin de compte, les *madhâhib* ne sont, comme l'étymologie du terme l'indique, que des courants formant ensemble une voie sacrée, large et bénie, qui permettent tous d'*aller* et de retourner vers la source originelle de la Science divine, là où se rejoignent, « au confluent des deux mers », la Loi sacrée et la Voie spirituelle. Dans ce voyage intérieur et extérieur, les *mujtahidûn* sont des guides et des compagnons qui enseignent aux musulmans fidèles et patients la discipline religieuse propre à la remise en paix à Dieu (*islâm*) dans l'assomption des obligations de Sa Loi sacrée. Les chemins sont multiples, mais leur destination est unique. Ils ne divergent pas, ils convergent.

L'on sait que c'est principalement sur la qualification juridique des actes individuels que portent les différences d'interprétations et de dispositions juridiques entre

(1) Texte tiré de l'avant-propos de notre traduction : Sharani, *Règles spirituelles et secrets de la prière*, éditions i, 2023.

JAWHAR EL ISLAM
Revue culturelle islamique - Tunisie

Numéro 1/2 - 23ème année

SOMMAIRE

La sagesse de la Sharî'a selon la Balance Suprême de 'Abd al-Wahhâb al-Sha'rânî.....2

par Abd-al-Wadoud Gouraud